جامعـــة الأزهـــر
كليـــة الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق
الـمـجلـة العلميـــة

" مادة العطاء في القرآن "
دراسة في جماليات التعبير البلاغي

إعداد

د/ هاجر محمد موسى موسى

مدرس بقسم البلاغة والنقد
كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات الزقازيق

(العدد الخامس عشر)
(الإصدار الأول- يونيو)
(١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م)

علمية- محكمة- نصف سنوية

" مادة العطاء في القرآن "
دراسة في جماليات التعبير البلاغي

هاجر محمد موسى موسى
قسم البلاغة والنقد ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات الزقازيق، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الالكتروني : hagermousa.67@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى بيان جماليات التعبير البلاغي لمادة من مواد لغتنا الغراء وهي مادة : «عطى»، وقد بين البحث موارد هذه المادة في الذكر الحكيم ، وقسمها إلى موارد العطاء الرباني واشتمل على إيراد سبعة مواضع امتازت ببيان عطاءات الرب سبحانه وتعالى، وتنبيها على عظم ما يعطيه ودوامه، وثبوته وأنه على قدر كفاية العبد فالعظيم عطاؤه عظيم، وأفادت أن العطاء فيه معنى التفضيل، والزيادة والقرب، وكرم الله دون منفعة تقع من العبد عليه سبحانه ،وقد سلسلت الدراسة هذه المواضع حسب مشتقات المادة، وقد بين البحث موارد هذه المادة في العطاء الإنساني في الذكر الحكيم في خمسة مواضع، وقد لمحت فيها جليا أنها وردت على صيغة واحدة وهي الفعل، وتجلت فيها الضنة، والقلة، والشح، والسخط، والصغار، وبينت في كل موضع لهذه المادة وما تعلقت به في الآية أو في موضعها من الآية من أسرار بلاغية. ومدى بلاغة التعبير بها دون غيرها في بعض المواضع التي تتطلب ذلك ، وألحقت بكل موضع ما يعين على بيانه من سباق ولحاق حتى يظهر المراد من هذه اللفظة ويبدو كالشمس واضحة لذي عينين ،ثم ختمت هذه الدراسة بمقارنة بين جماليات التعبير البلاغي بين موارد عطاء الرب وموارد عطاء الإنسان في الذكر الحكيم، وبرزت ما فيها من فوارق وأظهرت ما فيها من علل حتى ظهر فيها أن الفارق بين عطاء الخالق والمخلوق كالفرق بين الصانع والمصنوع.

الكلمات المفتاحية: جماليات_ التعبير– البلاغي_ العطاء –السياق– القرآني.

"The Subject of Giving in the Qur'an"

A Study in the Aesthetics of Rhetorical Expression

Hager Mohamed Mousa Mousa
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Zagazig, Al-Azhar University, Egypt.

Email: hagermousa.67@azhar.edu.eg

Abstract:
This research aims to explain the aesthetics of the rhetorical expression of one of the materials of our glue language, which is the material: «gave».The research explained the sources of this material in the Wise Qur'an, and divided it into the sources of divine giving.It included mentioning seven places that were distinguished by explaining the gifts of the Lord Almighty, and alerting to the greatness of what He gives.And its permanence, and its stability, and that according to the sufficiency of the servant, his great giving is great, and it stated that giving has the meaning of preference, increase, and closeness God honored without any benefit coming from the servant upon Him, Glory be to Him.The study has sequenced these places according to the derivatives of the material.The research has clarified the sources of this material in human giving in the Wise Qur'an in five places, and I clearly hinted in it that it appeared in one form, which is the verb, and distress was evident in it.And scarcity, stinginess, discontent, and smallness, and I explained in each place this article and the rhetorical secrets related to it in the verse or in its place in the verse. And the extent of the eloquence of its expression to the exclusion of others in some places that require it, and I attached to each place what helps to explain it in terms of racing and catching up until the meaning of this word appears and appears like the sun, clear to those with two eyes.Then I concluded this study with a comparison between the aesthetics of rhetorical expression between the resources of the Lord's giving and the resources of man's giving.In the Holy Quran, The differences in it emerged and the reasons in it became clear until it became clear that the difference between the giving of the Creator and the created is like the difference between the Maker and the Made.

Keywords: Aesthetics_Expression-Rhetorical_Giving – Context-Qur'anic.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه فأعجز به الإنس والجان، وحفظه من التبديل والتحريف والزيادة والنقصان، والصلاة والسلام على أفصح العرب لساناً وأبلغهم حجة وبياناً، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فاللفظة القرآنية غنية بمادتها ومعناها، يتجلى الإعجاز فيها بصيغتها، وهيئتها، وبنيتها التي جاءت عليها، وجمال التعبير بها؛ لذا جاء البحث تحت عنوان:

" **مادة العطاء في القرآن** " **دراسة في جماليات التعبير البلاغي** "

وقف البحث فيه على مواطن التعبير بمادة "عطى" في القرآن الكريم، ومشتقاتها في سياقاتها المتنوعة، التي بلغت أربعة عشر موطناً، بين ورودها في العطاء الرباني، والعطاء الإنساني، مع محاولة استخراج الأسرار البلاغية المكنونة خلف التعبير بتلك المادة، وصغيتها، وبنائها، وبلاغتها في موطنها وارتباطها بسياق الآية وسياق الآيات قبلها وبعدها وسياق سورتها.

والمتأمل لتلك المادة في القرآن الكريم يجدها وردت في عطاء الرب، وعطاء الإنسان، ولكلّ من العطاءين، سماته وخصائصه وصيغه التي ورد بها، وأثر ذلك في المعنى بين كثرة وشمول وعموم في العطاء الرباني، وكثرة وقلة وحسن وقبح وشح في العطاء الإنساني، ومن هنا تأتي الإشكالية التي يحلها البحث ، فإذا كان هناك تسليم بلا نهائية العطاء الرباني في مقابلة محدودية العطاء الإنساني وقلته وتفاوته، فأين الاستدلال على ذلك ؟ فالبحث يقع في دائرة الاستدلال على هذا الاعتقاد ، وفيه تجلية الفوارق بين العطاءين " الرباني والإنساني " ، بالإضافة إلى اختلاف جماليات التعبير بسبب السياق الذي وردت فيه المادة ، وربطها بسباقها ولحاقها .

وتتمثل أهمية الموضوع في:

١- بيان مادة "عطى"، وبلاغة التعبير بها في مواضعها في الذكر الحكيم، كما تتجلى أهميتها في بيان سمات وخصائص كلٍّ من العطاء الرباني والعطاء الإنساني في التعبير بها من خلال بنائها، وصيغها، وسياقها.

٢- المتأمل لتلك المادة في القرآن الكريم يلحظ قلة ورودها بصيغها ومشتقاتها حيث لم ترد إلا بصيغة الماضي، والمضارع، واسم المصدر فقط، ولم ترد مشتقات أخرى، فلم يرد منها مثلا صيغة الأمر؛ لأن العطاء لا بد أن يكون نابعًا عن كريم، وعن نفس طيبة، لا ينتظر القائم به الأمر بفعله.

٣- تتجلى أهميته أيضاً في ورودها في "عطاء الرب" و"عطاء الإنسان" كما أنها وردت في "عطاء الرب" مقترنة بوصف الربوبية؛ ذلك لبيان العطف، والرحمة، واللطف من الخالق –عز وجل–، كما وردت بصيغة الماضي؛ لبيان أنه عطاء قديم أزلي، وبصيغة المضارع؛ لبيان أنه متجدد على مر العصور والأزمان، وبصيغة اسم المصدر؛ لبيان كثرته، وفيضه، وعظمه، وتفضله على خلقه، فسبحانه هو مصدر كلّ عطاء حيث ورد مطلقًا دون تقييد، وإن قيد، فبالكثرة.

٤- العطاء الإنساني ورد بصيغتَيِ الماضي والمضارع فقط دون المصدر أو اسمه مقيداً بالكثرة أو القلة أو الضنة، أو الشح والبخل، أو الذل والهوان، أو تناول ما لا يحق، وذلك تبعاً للنفس البشرية وما اتسمت به من خصال وطباع وصفات، وتبعاً للإيمان أو الكفر.

٥- غلبت مواطن العطاء الرباني على العطاء الإنساني في ورودها، حيث وردت في ثمانية مواطن، والعطاء الإنساني في ستة مواطن.

ومن هنا تظهر أهمية التعبير بتلك المادة، وأهمية الموضوع.

ومما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع:

أولًا: الوقوف على بلاغة التعبير القرآني ببيان وجوه الإيراد لمادة "عطى" وما حوته من وجوه إعجاز القرآن توسلا بعلم البلاغة للوصول إلى تدبر آيات القرآن الكريم.

ثانيًا: تنوع وشمول وعموم مادة "عطى" لغويا وبلاغيا ، ودل على ذلك مواضع ورودها في لسان القرآن.

ثالثًا: بيان شمول هذه المادة في لسان القرآن لعطاء الرب وعطاء الإنسان وما تحمله من دلالات بلاغية في الفرق بين العطاءين.

رابعًا: بيان اطراد مواطن العطاء الإلهي مقترنا بوصف الربوبية.

خامسًا: كشف الملاءمة والمناسبة في موارد المادة في لسان القرآن وكشف المعاني البلاغية بربط السباق واللحاق بسياق ورود المادة.

الدراسات السابقة:

لم تعثر الباحثة إلا على دراسة بلاغية واحدة، وهي "خصائص البيان بالإيتاء والإعطاء في القرآن الكريم دراسة بلاغية" للدكتور/ السيد محمد السيد سلام، وتناولت في الجانب الأعظم منها مادة الإيتاء دون الإعطاء، فلا يكاد يكون فيه إلا نبذة مختصرة جدا عن مادة الإعطاء ، فكانت مجرد إشارة لها ، إلا أنها لم تتناول المادة من الناحية البلاغية ، وجمال التعبير بها في موضعها ، وفي سياقها ، ودون التعرض للعطاء الرباني أو الإنساني ، ومن هنا أردت أن أثري البحث بالوقوف مع هذه المادة بشيء من البسط والله الموفق .

واقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس.

أما المقدمة فقد اشتملت على أهمية الموضوع، ودوافع اختياره، والدراسات السابقة، وخطته، ومنهجه.

وأما التمهيد فاشتمل على بيان الدلالة المعجمية لمادة "عطى"، والفروق في الدلالة بينها وبين ما تقارب منها في المعنى مثل " آتى، وهب، أهدى "، والإشارة إلى عدد الآيات التي وردت فيها مادة "عطى"، ودلالة مخارج وصفات حروف مادة "عطى" على معناها.

وأما مباحث البحث فهي كالآتي:

المبحث الأول: جماليات التعبير البلاغي عن مادة العطاء الرباني، ويشتمل على:

أولًا: التعبير بصيغة الفعل الماضي.

ثانيًا: التعبير بصيغة الفعل المضارع.

ثالثًا: التعبير بصيغة اسم المصدر.

المبحث الثاني: جماليات التعبير البلاغي عن مادة العطاء الإنساني، ويشتمل على:

أولا: التعبير بصيغة الفعل الماضي. ثانيا: التعبير بصيغة الفعل المضارع.

المبحث الثالث: الفرق بين العطاء الرباني والعطاء الإنساني.

ثم الخاتمة: وذكر فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم الفهارس.

أما عن المنهج المتبع: فقد اعتمدت الدراسة في سيرها على المنهج الوصفي بأدواته من الاستقراء ، والجمع ، والتحليل ، والفرق ، والتدبر والتذوق للجماليات البلاغية التي تضمنتها الآيات والموارد لمادة العطاء في القرآن الكريم.

وقد استقصى البحث مواطن مادة "عطى" في القرآن بالدراسة، بالنظر إلى مشتقاتها فبدأ بالفعل الماضي، ثم المضارع، ثم اسم المصدر في عطاء الرب، والماضي والمضارع في عطاء الإنسان بمراعاة الترتيب المصحفي للموطن .

التمهيد: دلالة مادة "عطى" فى المعاجم العربية

تدور مادة "عطى" في اللغة حول التناول والقرب والتملك والتفضل والزيادة.

جاء فى اللسان: عطى: العطو، التناول، يقال منه: عطوت أعطو، وعطا الشيء وعطا إليه عطوًا: تناول، وظبي عطو يتطاول إلى الشجر ليتناول منه، وأعطاه مالاً، والاسم العطاء والإعطاء والمعاطاة جميعًا: "المناولة"(١).

وعطاء من عطو: قال ابن فارس: "العين والطاء والحرف المعتل أصل واحد صحيح يدل على أخذ ومناولة، لا يخرج الباب عنهما، فالعطو التناول باليد"(٢).

قوله تعالى: ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ [القمر: ٢٩]، تعاطى الشيء: تناوله وقصد فعله، ومنه كان يتعاطى كذا وعطوته: تناولته، أيضا وأعطيته: ناولته؛ يتعدى بلا همزة لواحد، وبها لاثنين ثانيهما غير الأول، ويجوز حذفهما اختصاراً واقتصاراً، وحذف أولهما والعكس، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ [الليل: ٥]، وقال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ [الضحى: ٥]، فذكر الأول، ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾ [النجم: ٣٤]، فذكر الثاني، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ [طه: ٥٠]، أي: أمكنه من تناول ما يصلحه، وغلب الإعطاء في الصلة: ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[التوبة: ٥٨](٣).

---

(١) لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور، مادة: "عطا"، دار صادر بيروت ط ٢٠٠٨م.

(٢) معجم مقاييس اللغة لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت (٣٩٥هـ)، ٣٥٣/٤، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

(٣) ينظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم، للشيخ أحمد بن يوسف بن عبد الدائم السمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، ٩٤/٣، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ،١٩٩٦م.

العطاء: اسم مصدر وضع موضع الإعطاء، وهو فى معاجم اللغة: اسم لما يعطى.

وتوجد ألفاظ في اللغة ذكرت في كتاب الله تقارب معنى مادة العطاء أو فيها عطاء مثل: "آتى، وهب، أهدى". فالفعل "آتى" في اللغة: يعبر به عن "أعطى"، والإيتاء: الإعطاء، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا﴾ [النساء: ٥٤]، ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [النساء: ١٦٣]، والإيتاء: خص بدفع الصدقة في القرآن دون الإعطاء، قال تعالى: ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المائدة: ٥٥][(١)].

"**وهب**": الهبة: "العطية الخالية عن الأعواض والأغراض، وأوهب لك الشيء: أعده، وأوهب لك الشيء: دام، وأوهب لك الشيء: أمكنك أن تأخذه وتناله، والوهاب من الأسماء الحسنى: بمعنى أنه يعطي كلًّا على قدر استحقاقه"[(٢)].

"**هدى**": "الهاء والدال والحرف المعتل: أصلان أحدهما التقدم للإرشاد، والآخر بعثة لطفٍ، فالأول من قولهم: هديته الطريق هداية، أي: تقدمته لأرشده، والأصل الآخر: الهدية: ما أهديت من لطف إلى ذي مودة، يقال: أهديت أهدي إهداءً"[(٣)]، "وخص ما كان دلالة بهديت، وما كان إعطاء بأهديت"[(٤)].

---

(١)اللسان مادة "آتى"، ومقاييس اللغة ٥١/١، ينظر عمدة الحفاظ ٥٤/١، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفى ٨١٧ هـ، ٤٦/٢، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

(٢) اللسان مادة: "وهب"، ينظر عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٣٤٥/٤، وبصائر ذوي التمييز ٢٨٦،٢٨٥/٥، المفردات في غريب القران لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى ٥٠٢هـ، ٥٣٤، دار الخلود للتراث د. ط د.ت.

(٣) مقاييس اللغة ٤٢/٦، ٤٣.

(٤) ينظر: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٢٤٤،٢٤٣/٤، واللسان مادة هدي، بصائر ذوي يالتمييز ٣١٣/٥.

"والإعطاء هو إيصال الشيء إلى الآخذ له، والهبة تقتضي التمليك فإذا وهبته له فقد ملكته إياه، ثم كثر استعمال الإعطاء حتى صار لا يطلق إلا على التمليك، فيقال:أعطاه مالاً، إذا ملكه إياه"(١)، والهبة "عطية منفعة، تفضل بها على صاحبك، ولذلك لم تكن عطية الدين ولا عطية الثمن هبة"(٢).

والفرق بين الهبة والهدية : "أن الهدية ما يتقرب به المُهدي إلى المهدى إليه، وليس كذلك الهبة، ولهذا لا يجوز أن يقال: "إن الله يهدي إلى العبد"، كما يقال: إنه يهب له"، وقال تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾[مريم: ٥]، ويقول: "أهدى المرؤوس إلى الرئيس" و"وهب الرئيس للمرؤوس وأصل الهدية من قولك: "هَدَىَ الشيءُ"؛ إذا تقدم، وسميت الهدية هدية؛ لأنها تقدَّم أمام الحاجة"(٣).

ويتبين لنا من خلال ما ذكر في كتب اللغة، وبالتأمل في كتاب الله عن معاني هذه الألفاظ تجد أنّ مادة العطاء: تكون مناولة وتناولاً، ويكون من الأعلى إلى الأدنى، ولا يمكن نزعه؛ لأنه أصبح ملكاً للمعطى إليه، فيقتضي التمليك، والقرب، ويكون مادياً ومعنوياً، وأكثر ما يكون في الأمور المادية.

وآتى: الإيتاء عندما يكون الأمر خطيراً أو بعيد المنال أو لا يقدر الإنسان على الإتيان بمثله، مثل إيتاء الكتب السماوية، فهو شيء لا يقدر عليه إلا الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، كما أن الإيتاء يحتاج إلى قوة هائلة: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۟ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ [النمل: ٣٩]، وفيها أداء الحقوق، لهذا جاءت كلمة الإيتاء مع الزكاة:

(١)الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد)، المتوفى حوالي ٣٩٥هـ، ٢٨٢، ٢٨٣، تحقيق: جمال عبد الغني مدغمش، مؤسسة الرسالة، ط٢ ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م

(٢) الفروق في اللغة ٢٨٥.

(٣) الفروق في اللغة ٢٨٣.

﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]؛ لأنها تكون من خير الأموال وأفضلها، وفيها جهد كبير للإنسان؛ لحبه الشديد للمال: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ولهذا جاءت مادة العطاء في القرآن مشتركة بين العطاء الرباني والعطاء الإنساني.

والهبة: إذا كان العطاء عن سؤال واحتياج، ﴿وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥]، ولا تكون إلا عند الاستحقاق والحاجة، ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠]، وفي الغالب لا ينتظر الواهب ردًّا من الموهوب إليه.

أهدى: إذا كان العطاء دون مسألة وعن غير حاجة، الهدية دليل محبة وليس هناك احتياج لها، فالإنسان لا يهدي للمملوك، وإنما يهدي للملوك، وغالباً ما ترد بمثلها أو بخير منها، ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥].

فالعطاء يكون عن تفضل وزيادة ودون احتياج ودون انتظار لردّ، فيه عموم وشمول؛ لذلك عُبر به في العطاء الرباني والإنساني، مع الفارق بينهما، فيتضح من خلال البحث العموم والشمول والزيادة والفضل والمنة في العطاء الرباني، وفيه حنوَّ وعطف وقرب ونفع وصلاح فهو المربي والمنشئ والخالق يتولى مصالح العباد.

أما العطاء الإنساني فيختلف باختلاف الأشخاص والأحوال في العموم والتقييد والقلة والكثرة.

ورد اسم المصدر **(عطاء)** فى القرآن الكريم خمس مرات، بينما ذكرت مشتقاته الأخرى في تسع آيات، وبالنظر في الآيات التي ورد فيها اسم المصدر **(عطاء)** يتبين أنه لم تختلف دلالته في الاستعمال القرآني عمّا جاء في معاجم اللغة إذ ورد في القرآن الكريم ليدل أيضا على الشيء المعطى مقترنًا بمعنى

التفضل في هذا العطاء. والمصدر الصريح (**إعطاء**) يدل على معنى الإنالة، والتأدية.

مما لا شك فيه أن صيغة المادة وبناءها وأصواتها أصل في الدلالة على معناها، وكذلك الصوت من جهة مخرجه وصفاته، فتجد أن مادة "عطى" أو "أعطى" حرف الهمزة يخرج من أقصى الحلق، والعين من وسطه، والطاء من طرف اللسان وأصول الثنايا.

وإذا تأملنا ذلك في دلالة الكلمة من حيث مخارجها[١] من أقصى الحلق مروراً بالوسط وانتهاء بأطراف اللسان والثنايا، وبحرف المد الذي لا نهاية له حيث تجد في معناها العطاء من رب العالمين من القوة العليا ويصل غايته وينتهي إلى جميع المخلوقات، عطاء لا حدود له ولا نهاية، وإذا كان من الإنسان تجده عطاء ينبع من داخله ومن قوة اعتقاده ليخرج إلى العلن ونجد آثاره المادية والمعنوية.

وإذا نظرنا إلى صفات[٢] حروف الكلمة فتجد حرف الهمزة شديد، والعين متوسط بين الشدة والرخاوة، والطاء حرف شديد مطبق، وتشترك جميعها في صفة الجهر، فقوة الدلالة من قوة الأداء والصفات، فتجد العطاء من الله واضحاً ظاهراً جلياً للعيان يناسب صفة الجهر وتجد فيه قوة وتفضلًا من الخالق على عباده وسطوته عليهم، وفي جانب العطاء الإنساني تجد أثره في قوة النفس المعطية، واليد العليا المعطية خير من اليد السفلى، وفيه مناولة، فأجراس الكلمة وأصواتها

(١) الكتاب" كتاب سيبويه "، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر،٤/٤٣٣، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

(٢) الكتاب ٤/٤٣٤، ٤٣٥.

عامل قوي في تحديد منزلتها، وتلك مؤشرات تسبق جهة البيان التي هي مناط البحث.

ومادة "عطى" تتعدى لمفعول واحد وبهمزة التعدية لمفعولين[١]، ويبدو أن الفعل بعد دخول الهمزة ندر النطق بثلاثيه، واستعيض عنه بالفعل أخذ، وتناول، وهو أمر شاع في العربية.

(١)مغني اللبيب عن كتب الأعاريب للإمام ابن هشام الأنصاري ٧٦١ هـ، ٢/٦٠٠، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، د، ط.

المبحث الأول:

جماليات التعبير البلاغي عن مادة العطاء الرباني.

ويشتمل على:

أولًا: التعبير بصيغة الفعل الماضي.

ثانيًا: التعبير بصيغة الفعل المضارع.

ثالثًا: التعبير بصيغة اسم المصدر.

آيات عطاء الربوبية

قال الله تعالى:

الآية الأولى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ **[طه: ٥٠]**.

الآية الثانية: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ **[الكوثر: ١]**.

الآية الثالثة: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ **[الضحى: ٥]**.

الآية الرابعة: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ **[هود: ١٠٨]**.

الآية الخامسة: ﴿كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾ **[الإسراء: ٢٠]**.

الآية السادسة: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ **[ص: ٣٩]**.

الآية السابعة: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا﴾ **[النبأ: ٣٦]**.

أولا: التعبير بصيغة الفعل الماضي

حيث أفاد تحقيق الوقوع وأن عطاء الله أزلي منذ القدم .

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ **[طه: ٥٠]**.

العطاء: مادي ومعنوي.

جاءت مادة (عطى) في هذا الموضع من الذكر الحكيم في الحديث عن قصة سيدنا موسى –عليه السلام– فى الحوار الذي دار بينه وبين فرعون الطاغية المتكبر حين أرسله رب العالمين وأخاه إلى فرعون المدعي الألوهية والربوبية ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ **[القصص: ٣٨]**، و﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ **[النازعات: ٢٤]** يدعوانه إلى عبادة رب العزة –جل وعلا– وأن يرسل معهما بني إسرائيل، ويخوفانه بالعذاب ﴿إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ **[طه: ٤٨]**، حينها سألهما فرعون معرضًا ومستفهمًا استفهامًا

إنكاريًا، قال: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٩]، فرد موسى –عليه السلام– برد أسكته، وكان بمثابة الضربة القاضية، والحجة الدامغة عليه؛ لئلا يوجد مجال للإنكار.

وجاء بقوله: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾ دون أن يقول (فمن ربي)[1]؛ لأنه منكر لتلك الربوبية، فنسبها إلى موسى وهارون، وحتى لا يظن أحد من قومه اعترافه برب غيره، فكان رد موسى– عليه السلام – : ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، أي: ربنا وخالقنا سبحانه هو الذي أفاض خيراته وأغدقها على مخلوقاته وأعطاهم كلّ شيء الخير الوفير والنفع العميم والعطاء الجزيل.

وجاءت مادة (**عطى**) هنا شاملة لعدة معان، القرب والمناولة والتمليك وإغداق النعم دون مقابل، وأعطى بدون طلب ويتناسب هذا مع وصف الربوبية ، فآثر التعبير بهذه المادة دون غيرها مثل: «**وهب**» فالهبة عن سؤال أو احتياج، قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِى فَرۡدًا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠].

وآثر التعبير به أيضًا دون «آتى» فالإتيان يكون أكثر في الأمور المعنوية ويكون في الأمر الخطير أو بعيد المنال، أو لا يقدر الإنسان على الإتيان بمثله مثل إيتاء الكتب السماوية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعًا مِّنَ ٱلۡمَثَانِى وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، والإتيان أيضًا قد يكون في الأمور الواجبة، قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، فدل ذلك على أن الله سبحانه وتعالى يؤتى خلقه ويزيدهم تفضلاً منه على عباده «من باب الفضل وليس العدل!»؛ فلذلك كان

(١) الرب: في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالا فحالاً إلى حد التمام، ولا يقال الرب مطلقاً إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات. المفردات ١٨٤".

لفظ العطاء هنا دالاً على المراد دون غيره من الألفاظ المقاربة فى المعنى، فالعطاء يكون ماديًا.

وتجد أن الفعل «**أعطى**» يتعدى "لمفعولين" فأصله: "**عطا**" متعد لمفعول واحد، ثم دخلت عليه الهمزة للتعدية؛ ليتعدى لمفعولين مما يوسع دائرة المعنى، فتجد «كل»، مفعول أول[١] وخلقه مفعول ثانٍ، ويكون المعنى على هذا: أى: الذي أعطى كلّ شيء صورته وشكله الذي يطابقه المنفعة المنوطة به)[٢]، أو «كل» مفعول ثانٍ مقدم، وخلقه مفعول أول مؤخر، فحصل تقديم وتأخير للمفاعيل أي: (أعطى خليقته كلّ شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به)[٣]، فتركيب الجملة صالح للمعنيين ففيه سعة للمعنى كما أن فيه سعة للعطاء، كما أفادت «كل» عموم عطايا الله سبحانه وتعالى لخلقه أجمعين المؤمنين والكافرين الطائعين والعاصين، حتى إن فرعون الذي يدعي الألوهية يتنعم في خيرات الله رغم فساده في الأرض، حيث أفاد لفظ كل[٤] العموم والشمول والإحاطة.

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، المتوفى ١٤٠٣ هـ، ٦ / ٢٠٠، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سوريا، دار اليمامة، دمشق، بيروت، ط ٤، ١٤١٥ه

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل على وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ٦٢/٣، مكتبة مصر، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠ م.

(٣) الكشاف٦٢/٣ (السابق ذاته).

(٤) كل: تفيد الشمول، ودفع توهم إطلاق البعض على الكل، وهي من أدوات التوكيد المعنوي. همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى ٩١١هـ، ٣/ ١٣٦، ١٣٧ – تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة ١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

(وجيء بفعل الإعطاء؛ للتنبيه على أن الخلق والتكوين نعمة، فهو استدلال على الربوبية وتذكير بالنعمة معا)[1]. وتأمل إلى التعبير بقوله "ربنا" مؤثراً وصف الربوبية على وصف الألوهية، فالمقام مقام تذكير بالنعم والعطايا على خلق الله وهي من صفات الربوبية، فالرب هو المنعم والخالق والرازق، كما أن فيه معنى القرب، والعطف والحنو، أما وصف الألوهية فيشعر بالعظمة والجلال والكبرياء، والرب هو المالك والمدبر المصرف والسيد والمنعم يضع كلّ شيء في موضعه بحكمته.

وانظر إلى السؤال وجوابه في قوله: **(فَمَن رَّبُّكُمَا)** منكراً، فلم يقل: **(رَبِّيَ)**، وردّ سيدنا موسى –عليه السلام– بقوله **(رَبُّنَا)** مقرًّا بأنه رب العالمين ورب جميع الموجودات، فهو ربك أيضا يا فرعون، والدليل أنه أعطى كلّ شيء خلقه، فأجابه بالحجة الدامغة.

ثم انظر إلى ما رتّب على عطاء الله –عز وجل–. بقوله :**(ثُمَّ هَدَى)**، فهو على حد قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠**﴾ **[البلد: ٨-١٠]**، فسبحانه خلقهم وأفاض عليهم نعمه، ثم هداهم وأرشدهم إلى ما خلقهم لأجله.

وفي قوله ﴿**ثُمَّ هَدَىٰ**﴾ إيجاز بالحذف، حيث دل على العموم، فلم تبين الآيات إلى أي شيء هداهم، وكيف هداهم، فحذف لتذهب النفس فيه كلّ مذهب، وتتخيل ما يمكن تخيله، وفيه تعظيم أيضاً لشأن تلك الهداية، فقد حذفت جملاً لا تحصى ولا تعد.

(١)التحرير والتنوير= تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لمحمد الطاهر ابن عاشور، ٢٣٢/٧، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس.

وتجد التعريف بالموصولية في قوله : ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ﴾ دلالة على عظم العطايا وشهرتها وكونها مختصة بالله –عز وجل– وحده دون غيره، فسبحانه وحده الذي أعطى كلّ شيء خلقه، يقول عبد القاهر:«اعلم أن لك فى «الذي» علماً كثيراً، وأسراراً جمةً، وخفايا إذا بحثت عنها وتصوّرتها اطلعت على فوائد تؤنس النفس، وتثلج الصدر بما يفضي بك إليه من اليقين، ويؤديه إليك من حسن التبيين»[(١)]، وفي التعريف بالموصولية أيضا "أنك لا تصل الذي إلا بجملة من الكلام قد سبق من السامع علم بها، وأمر قد عرفه له، فجاءت جملة الصلة؛ ليفصل بين أن يراد ذكر الشيء بجملة قد عرفها السامع له، وبين أن لا يكون الأمر كذلك"[(٢)].

فتجد جواب سيدنا موسى – عليه السلام– لفرعون جامعًا مانعًا وحجة قوية أسكتته، فقد أتى له بصفات ودلائل للربوبية لا يمكن لأحد أن يتصف بها ألا وهو العطاء العميم والخير الوفير والنفع الكثير لعباده جميعا، وهذا على النقيض من حال فرعون الذي لا يمكن أن يتصف بهذا، مما جعله يغير مجرى الكلام ويسأل عن أشياء قد مضت: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١].

بل وفي التعبير بالفعل الماضى «أعطى»، «هدى»، دلالة على: أنها أمور أزلية منذ القدم قبل أن يخلق الله الخلق ومنهم فرعون المتكبر فقد قال صاحب الكشاف في هذه الآية: (ولله در هذا الجواب ما أخصره وما أجمعه)[(٣)].

وبين "أعطى، وهدى" تناسب يزيد المعنى ويوضحه، وتجد أن لفظ «العطاء» هنا مناسب لسياق الآية في كثرة النعم وفيض الخيرات على الخلق،

(١) دلائل الإعجار للشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، المتوفى ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ، تحقيق: محمود محمد شاكر، ١٩٩، مكتبة الخانجى بالقاهرة، ط ٥، ٢٠٠٤م

(٢) ينظر الدلائل ٢٠٠.

(٣) الكشاف ٦٢/٢.

ومناسب فى الرد على فرعون؛ لأنه وإن ادعى الربوبية إلا أنه لم يكن له عطاءات، ولو فرض له لم تعم ولن تعم جميع خلق الله. وبنيت الجملة على الاسمية ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ﴾ دلالة على الثبوت والدوام وتأكيد المعنى، فكان لكل مفردة في الآية تأكيد للعطاء.

وكان مناسبًا أيضاً للسياق السابق في السورة، فقد كثرت فيها العطايا والمنح الربانية، كما في قوله تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾ **[طه: ١-٢]**، وكما في الآيات والمعجزات المعطاة لسيدنا موسى–عليه السلام– من اليد البيضاء، والعصا، وعطائه في نجاته من فرعون وهو وليد، وكذلك في العطاء عند خوفهم من فرعون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ **[طه: ٤٦]**،كما وضحته الآيات السابقة.

وكذلك ما كان فى السياق اللاحق، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ۝٥٣ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ۝٥٤ * مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ۝٥٥﴾ **[طه: ٥٣-٥٥]**.

فهذه كلها عطاءات من رب العباد، سبحانه الذي خلقنى فهو يهدين، كما أن لفظ "أعطى" مناسب لسياق السورة كذلك على وجه العموم، فمحور ألفاظها ومعانيها ومقصدها الأعظم هو «**العطاء**»، فهي من السور المكية التي نزلت لتثبت فؤاده ﷺ بعظيم نعمه وجميل عطاياه.

وبنيت الجملة هنا على الاسمية ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ﴾ دلالة على الثبوت والدوام إضافة إلى تأكيد المعنى.

وإذا تأملت وجدت أن آية سورة طه جامعة يندرج تحتها جميع أنواع العطاء المادي والمعنوي في الذكر الحكيم. وندخل إلى نوع من أنواع العطاء التى أعطاها الله لكل خلقه ثم هدى.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ **[الكوثر: ١].**

العطاء: مادي ومعنوى.

جاءت هذه الآية في مفتتح سورة الكوثر حيث دلت على عطاء الله العظيم والخير الكثير الوفير الذي أغدقه الله – جل وعلا – على عبده ونبيه ومصطفاه محمد ﷺ، وعلى آله، وأصحابه، وأمته من بعده، فافتحت ب "إن" التوكيدية، دلالة على أن هذا العطاء حاصل وواقع لا محالة، وفيه رد على من يشك في هذا العطاء على مر العصور والأزمنة والأمكنة، أو ينكره، بل وقرن (إن) بـ (نا) العظمة وهي اسم (إن) تأكيدًا فوق تأكيد، وزيادة في الثبوت، وزيادة في الخير العميم، ففيه تنبيه على عظم العطية، فالعظيم عطاؤه عظيم.

ثم جيء بالفعل الماضي (**أعطى**) بصيغة الماضي لتحقيق الوقوع، فهو حاصل لا محالة، قدره الله لعبده ونبيه في الأزل القديم دون طلب من عباده، ودون تقدم ما يوجب ذلك العطاء من طاعة أو إحسان، وإنما أعطاه الله متفضلًا ومحسنًا إلى عباده، وهو ما أفاده لفظ (**العطاء**) هنا دون غيره، فقد آثر التعبير به دون الإيتاء مثلاً؛ لأن العطاء إشارة إلى التفضل والزيادة والدوام وكرم الله غير المتناهي؛ لأن العطاء تمليك أبدًا، وكأنه قال سبحانه: "ملكناك إياه" ففيه زيادة كرم.

أما الإتيان فقد يكون عن وجوب كما قال تعالى : ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، أما العطاء فيكون دون وجوب ودون احتياج، وفيه قرب وتملك؛ إشارة إلى عظيم فضل الله وإغداقه الخير الكثير، ومما زاد هذا الأمر وضوحاً إسناد الفعل أعطى إلى (نا) العظمة ضمير الفاعل، فهو عطاء من العظيم، فهو أنسب للسياق.

ومفعول أعطى الأول: (كاف الخطاب) لنبيه ومصطفاه – صلى الله عليه وسلم– فهو له ولأمته من بعده، فعدل بالضمير (الكاف) عن الاسم الظاهر

كالنبي أو الرسول، دلالة على أن هذا العطاء لم يكن لكونه نبيًّا أو رسولاً أو طائعًا أو عالمًا إنما هو محض تفضل من المولى فسبحانه يرزق من يشاء بغير حساب.

والمفعول الثاني هو (الكوثر)، وهو من (الكثرة)[١] على وزن (فوعل)[٢] وهى صيغة مبالغة غير قياسية أي: المفرط في الكثرة، والكوثر (قيل: هو نهر في الجنة يتشعب عنه الأنهار، وقيل: بل هو الخير العظيم الذي أعطاه النبيﷺ)[٣]، فأفاد المبالغة في الكثرة في الدنيا والآخرة، فكان العطاء هنا مناسبًا لسياق الآية من (إن) التوكيدية، وبناء الجملة على الاسمية و(نا) العظمة لرب العزة –جل وعلا–، وكاف الخطاب لنبيه ﷺ، والكوثر،فهو العطاء العظيم ناسبه التعبير بضمير التعظيم" نا " لأنه لا يقدر عليه إلا الله.

حيث أفادت هذه الأمور مجتمعة قوة وزيادة العطاء وعظمته والخير الكثير الوفير العظيم لنبيه ﷺ ولأمته من بعده، فتصدير الجملة بـ (إن)، مبالغة في التأكيد ناهيك عن أنه من رب العالمين فهو متحقق لا محالة، فكيف إذا جاء في سياق التأكيد فهو مبالغة في التأكيد، فالوعد بالعطية من الله واقع ومتحقق لا محالة حتى ولو كانت عظيمة كالكوثر، وأفاد ذلك بناء الجملة على الاسمية بتقدم الاسم (نا) في قوله: (إنا)، فصار بناء الجملة على هذا مزيلاً للشك ودافعاً لكل شبهة.

فكان سياق الآية خير دليل حيث أفاد عظم العطية لعظم المعطي.

---

(١) اللسان مادة: كثر.

(٢) اللسان مادة: كثر، وهو فوعل من الكثرة والواو زائده، ومعناه الخير الكثير (وقد يقال للرجل السخي: كوثر)، ويقال : تكوثر الشيء كثر كثرة متناهية، قال الشاعر: وقد ثار نقع الموت حتى تكوثرا اللسان ماده كثر، والمفردات ٤٢٧.

(٣) اللسان مادة كثر، والمفردات ٤٢٧.

ودل عليه أيضًا السياق اللاحق، وهي الآية التي بعدها، قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، فالفاء للترتيب والتعقيب ترتب ما بعدها على ما قبلها "فهي تشعر بأن الكلام مرتب بعضه على بعض، وليس متولدا بعضه من بعض، كما لو كان بدونها، ولو أنه جاء بالواو لآذان باستقلال الكلام من غير أن يشير إلى ترتيب بعضه على بعض"(١)، ففرع أو رتب على (هذه البشارة بأن يشكر ربه عليها، فإن الصلاة أفعال وأقوال دالة على تعظيم الله، والثناء عليه وذلك شكر لنعمته)(٢)، والصلاة جامعة لجميع أنواع الشكر، لذلك قال (فصَّل) دون (فاشكر).

كما أنه في عدول السياق عن الضمير إلى الاسم الظاهر في قوله ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ دون أن يقول: (فصل لنا) لما يشعر به لفظ الربوبية من الاستحقاق للعبادة، فهو رب متكفل بخلقه غني عنهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، كما أفادت ذلك (اللام) أيضا حيث تفيد الاختصاص والاستحقاق(٣).

وإضافة رب إلى ضمير المخاطب فيه تشريف وتعظيم للنبي ﷺ ودلالة على القرب.

---

(١) دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، د / محمد محمد أبو موسى، ٣١٨، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٧م.

(٢) التحرير والتنوير ٥٧٤/١٢.

(٣)(من معانيها، الاختصاص والاستقامة، وهو معناها العام لأنه لا يفارقها، والملك "والظاهر أن أصل معانيها الاختصاص، وأما الملك فهو نوع من أنواع الاختصاص، وهو أقوى أنواعه، وكذلك الاستحقاق؛ لأن من استحق شيئا فقد حصل له به نوع اختصاص). الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، ٩٦، تحقيق د/ فخر الدين قباوة، أ/محمد نديم فضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

فلفظ العطاء يتناسب مع سياق الآيات وسياق لاحقه، بالإضافة إلى سياق السورة وغرضها، فالسورة اشتملت على بشارة النبي ﷺ بالعطاء والخير الكثير في الدنيا والآخرة، بل وافتتحت بتلك البشارة، ولذلك أمر الله نبيه ﷺ بالشكر له بالإقبال عليه بالعبادة والطاعة (بالصلاة)، ونحر الذبائح تقربا إلى الله، وشكراً له لإطعام المساكين فكما يغدق الله –عز وجل– على عباده أمرهم أيضاً بالعطاء وإغداق الخيرات بالنحر والإطعام، قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ **[الإنسان: ٨-٩]**، فيكون هذا المعنى مقابلاً لما في سابق السياق من السورة التي قبلها في الترتيب، وهي سورة الماعون، حيث قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ **[الماعون: ١-٣]**.

فكان التوافق مع السياق السابق من جهة المقابلة فى المعاني بين سورة الكوثر، وسابقتها (الماعون)، فذكر في الماعون صفات المكذبين بالدين وأول صفاتهم فيها البخل، فقال تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ **[الماعون: ٢-٣]**.، وكان في مقابلها: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ **[الكوثر: ١]**.

وتأتي خصلة (ترك الصلاة) وهو قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ **[الماعون: ٥]**، وفي مقابلها، ﴿فَصَلِّ﴾، وثالث خصلة: (الرياء في الصلاة) وهو قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ **[الماعون: ٦]**، وفي مقابلها ﴿لِرَبِّكَ﴾، ورابع خصلة: المنع من زكاة أموالهم ومن عطاء الخيرات لخلق الله في قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ **[الماعون: ٧]**، وفي مقابلها ﴿وَٱنْحَرْ﴾، ففيها الحث على الكرم بالتصدق بالأضاحي.

وختم سورة الكوثر بقوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ **[الكوثر: ٣]**، أي عدوك يا رسول الله من يأت بتلك الصفات المذمومة فهو المنقطع الذي لا يبقى له أثر ولا خبر، أما من اتصف بصفات الله من العطاء والكرم، وسمع وأطاع، فهو من يبقى أثره وذكره خالداً، فكان هذا من لطيف المناسبة في السياق السابق واللاحق وسياق السورة.

وإذا نظرنا إلى السورة التالية سورة الكافرون، وهى تعد من السياق اللاحق، تجدها مرتبطة بسياق سورة الكوثر وسياق العطاء فيها، فسبحانه أعطاه ووعده بالخير العظيم والنفع العميم، فدل هذا على حفظه ورعايته فلا يخاف ولا يقع في قلبه حزن أو يحمل هماً لمجابهة الكافرين والتصدى لهم، قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾**[الكافرون: ١]**.

ويعد هذا شبيهًا أيضاً لموقف سيدنا موسى، فكما نهاه سبحانه من الخوف هناك في سورة طه: ﴿لَا تَخَافَآ﴾ **[طه: ٤٦]**، وأجابه فرعون بالحجة القوية وهي العطاء، فهو السياق الأكبر للذكر الحكيم.

وإذا نظرنا إلى سورة الكوثر ومعنى العطاء فيها، ثم في سابقها من السياق في السور السابقة عليها من أول سورة الضحي ومعني العطاء فيها أيضاً، ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ **[الضحى: ٥]**، وما بعدها من السور التي تجسد فيها العطاء المعنوى، مثل سورة الشرح، والتين، والعلق، والقدر،...إلى أن تصل إلى سورة الكوثر، فتجد سلسلة من العطاءات لا تنقطع، ومددًا وفيضًا من القدير لا يزول، فتجد القرآن كله سياقًا واحدًا متصلًا بعضه ببعض. وننتقل إلى عطاء آخر سابق بصيغة المضارع.

ثانيا: التعبير بصيغة الفعل المضارع

حيث أفاد تجدد العطاء واستمراريته على مر العصور والأزمان

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ **[الضحى: ٥]**.

العطاء: مادي ومعنوي.

هذه الآية الكريمة من سورة الضحى، وفيها يعد الله سبحانه وتعالى نبيه ومصطفاه وحبيبه محمدًا ﷺ خير خلقه أجمعين بأنه سوف يعطيه عطاءً عظيماً، يفيض عليه بالخير الكثير والنفع العظيم، دائما متجددا إلى الحد الذي يجعله يرضى ويسعد في الدنيا والآخرة، وعبر عن هذا المعنى بقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ **[الضحى: ٥]**.

وتجد الواو عاطفة[١] ما بعدها على ما قبلها، فعطفت وعد الله له بالعطاء العظيم على قوله: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ **[الضحى: ٤]**، وهو أيضاً نوع من العطاء، فالعطاء هنا في الآية عام يصح أن يكون للدنيا والآخرة.

ثم أكد هذا العطاء بلام الابتداء[٢] المؤكدة لمضمون الجملة، وكذلك "سوف"[٣] وهو حرف استقبال يفيد التأكيد أيضاً، ويفيد أن هذا العطاء الذي وعده سبحانه وتعالى مستمر لا ينقطع، فهذه الآية وعد له ﷺ بالعطاء، ولذلك عبر ب"سوف"، دون "السين" فكلاهما يدل على الاستقبال إلا أن: "سوف" أوسع زمانا من السين، فدلت على امتداد زمن العطاء إلى جانب أن لام الإبتداء تدخل على "سوف"، دون "السين" (وسوف إطماع كقولهم: "سوَّفته" أى أطمعته فيما يكون، وليس كذلك "السين")[٤].

---

(١)إعراب القرآن وبيانه ٥١٠/١٠ .

(٢)إعراب القرآن وبيانه ٥١٠/١٠ السابق ذاته، وينظر: الجنى الداني ١٢٤-١٢٦ .

(٣)الجنى الداني ٤٥٨، ٤٥٩.

(٤)الفروق في اللغة، ٢٨٨.

ثم جاء الفعل "يعطي" بصيغة المضارع ليفيد تجدد هذا العطاء واستمراريته طيلة حياته، بل يتخطاه إلى ما بعد الممات.

وقدم المفعول الأول وهو: "الكاف" على الفاعل "رَبُك" دلالة على الاهتمام بشأن نبيه ﷺ، وتعجيل العطاء له، وأنه هو المقصود بذلك العطاء؛ وذلك لأن هذه السورة نزلت ردًّا على المشركين الذين استبطأوا عطاء الله له ونزول الوحي عليه، وقالوا له: شيطانك قد تأخر يريدون الوحي، فرد عليهم سبحانه وتعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ [الضحى: ٣-٥].

وجاء الفاعل "رَبُك" بوصف الرب ، ومضافاً إلى كاف الخطاب، دون لفظ الجلالة "الله" وذلك لما يشعر به لفظ (رب)، من اللطف والرحمة والقرب والرأفة، وأضافه إلى كاف الخطاب لنبيه –صلى الله عليه وسلم– دلالة على تشريفه وتعظيمه وعنايته برسوله –صلى الله عليه وسلم–.

ومما زاد نفع هذا العطاء وعمومه وشموله حذف المفعول الثاني لـ "يعطي"، وفيه إيجاز بالحذف، حيث لم تبين الآية نوعية العطاء أو عدده أو ماهيته أو كيفيته ليشمل كل عطاء تتوقعه النفس أو تتخيله، دلالة على شمول وعموم عطاء الربوبية لنبيه – صلى الله عليه وسلم– ، ففيه من التفخيم لأمره والاستعظام لشأنه، وأن هذا العطاء أجل من أن يذكر أو يفصّل، "فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"(١).

ودلالة على تعجيل الله بالعطاء لنبيه – صلى الله عليه وسلم– عقب بالفاء في قوله: "فترضي"، حيث أفادت الترتيب والتعقيب فترتب على هذا العطاء

(١) الدلائل ١٠٦.

رضا نبيه –صلى الله عليه وسلم–، وإنه لمن المؤكد أن نبينا محمدًا ﷺ راضٍ تمام الرضا سواء أُعْطِيَ أم لم يُعْطَ إلا أن فيه إشارة وتعريضًا بالمشركين الذين استبطأوا الوحي له، وظنوا أن رَبَّه هجره، إلا أن عطاء الله سيظل مستمرًا ومتجددًا له إلى أن يَرْضى، قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٨].

فتجد أنه كما كان عطاء الله يتجدد ويستمر أزمانًا، تجد أيضا رضا نبيه – صلى الله عليه وسلم– متجددًا مستمرًا، ووضح هذا المعنى بالفعل المضارع "ترضى"، "ويعطي".

ولو تأملت إلى نطق الكلمة وأصواتها في المد بالألف في آخرها "فترضى"، أعطتك شعوراً أن هذا الرضا لا نهاية له ولا حدود تقف عنده، فمن يرضى إن لم يرض رسوله –صلى الله عليه وسلم–.

وتجد أن معنى العطاء هنا قد أكد بجملة من المؤكدات، لام الابتداء، وسوف، واسمية الجملة، لأن لام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة الاسمية، فتكون جملة "سوف يعطيك" خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره: "أنت"، فيكون الجمع هنا بين لام الإبتداء، وسوف، مؤكدًا على أن العطاء كائن لا محالة.

فتجد أن العطاء الرباني هنا مناسب لسياق الآية، كما يفيد تأكيد العطاء وعمومه، ثم تجده أيضاً مناسبًا لسياق الآيات قبلها، ففي قوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤﴾ [الضحى: ٣-٤]،

فهو نوع عام من العطاء على مدار الزمان، فأفادت الآية عموم العطاء، كما أفادت الآية قبلها عموم الزمان، فقوله: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤﴾ هو عام على مدار كل زمان، قال تعالى: ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٧].

وتجد في آخر السورة السابقة عليها، وهي سورة الليل، قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ **[الليل: ٢١]** تتناسب مع قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ **[الضحى: ٥]**، ففيه دلالة أيضاً على معنى العطاء حتى الرضا.

وإذا نظرنا إلى السياق اللاحق تجد "العطاء" متناسباً مع الآيات اللاحقة، فتجدها تشتمل على عطاء، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ **[الضحى: ٦-٨]**، فتجدها سلسلة من العطاءات المتتابعة، قد أعطاها الله لنبيه –صلى الله عليه وسلم–، فَقِسْ على هذا وعده له بالعطاءات الكثيرة والعظيمة، فمن أعطاه في السابق سوف يعطيه في الحال والاستقبال، ومن المؤكد أن عطاء الله لنبيه –صلى الله عليه وسلم– هو عطاء للأمة من بعده.

فتجد معنى العطاء هنا قد تناسب مع سياق الآية وسياق السورة، والسياق السابق واللاحق، فالسورة كما ذكر ما نزلت إلا لتدل على عطاء الربوبية.

وننتقل إلى عطاء آخر.

ثالثًا: التعبير بصيغة اسم المصدر

حيث أفاد الشمول والإحاطة والإيجاز والتوكيد والتركيز على المضمون لا على الحدث

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾ **[هود: ١٠٨]**.

تشير هذه الآية الكريمة إلى عطاء الله غير المقطوع أو الممنوع في الآخرة لعباده السعداء الأتقياء الذين حَلَّ عليهم رضوان الله، ورزقهم سعادة لا يشقون بعدها أبداً حيث نجاهم من النار وعذابها وأدخلهم الجنة يقيمون في نعيمها، وهو ما سيأتي تفصيل ذكره في سورة النبأ في ذكر العطاء الرباني الأخير وهو قوله: ﴿**جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا**﴾ **[النبأ: ٣٦]**، فكان بدء الورود بذكر مصير الفريقين وانتهى أيضا بذكرهما، ودور العطاء الرباني فيها وصفاته، فالقرآن يفسر بعضه بعضا، قال تعالى: ﴿**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا﴿٣٤﴾**﴾ **[النبأ: ٣١-٣٤]**.

وتجد وصف العطاء هنا بقوله: ﴿**غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾ أي غير مقطوع أو ممنوع، وكما قال تعالى مما يفسر هذا المعنى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾**﴾ **[فصلت: ٨]**، أى: "غير معدود، أو غير مقطوع، ولا منقوص"(١).

فتجد آيات العطاء يفسر بعضها بعضًا وترتبط بسياق أكبر وهو القرآن الكريم، فكما كان العطاء هنا ممتدًا إلى غير نهاية غير مقطوع، وغير ممنوع للعباد الصالحين السعداء في الدار الآخرة، فتجده في سورة الإسراء للعباد المؤمنين الساعين عطاء غير

(١) المفردات ٤٧٥، ممنون (الميم والنون أصلان أحدهما يدل على قطع وانقطاع، والآخر على اصطناع خير). مقاييس اللغة٥/٢٦٧ .

محظور، ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]، وتجده أيضا في سورة النبأ للمتقين الفائزين، عطاءً حساباً، ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦]، كما سيأتي ذكره.

وتجد "**عطاءً**" هنا (نصب على المصدر الؤكد من معني الجملة قبله؛ لأن قوله: "ففي الجنة خالدين فيها" يقتضي إعطاء وإنعاماً، وغير مجذوذ صفة لعطاء)[١]، وجاءت "**عطاء**" هنا بصيغة اسم المصدر دلالة على الشمول والعموم، وجاءت نكرة، دلالة على عظم العطاء وتنوعه، وزاده مدداً وصفه بقوله: ﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، فمجذوذ على وزن مفعول وهو مما يفيد الثبوت والدوام والحدوث، ويدل على المضي والحال والاستمرار، مما يقوي العطاء.

وعلى ذلك تجد لفظ "**عطاء**" مرتبطاً بسياق الآية، فقوله: ﴿فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾، تشير إلى هذا العطاء غير المجذوذ (غير مقطوع) كما أنهم في الجنة خالدين فيها أبداً لا يخرجون منها، ففى الجنة عطاء غير منقطع.

وتجد هنا العطاء عطاء ربوبية، حيث سبقها فى سياق الآية ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، فالرب مشيئته اقتضت عطاءهم غير المقطوع بدخولهم الجنة خالدين فيها، وهذا أعظم أنواع العطايا.

وعلى ذلك تجد تعلق العطاء وتناسبه مع سياق الآية، كما تجده أيضا مناسبًا للسياق السابق، فتجده مقابلاً لقوله تعالى في الآية السابقة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، أى: "أنه يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب كما يعطى أهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له[٢].

(١)إعراب القرآن وبيانه ٤/٤٣٠.

(٢) الكشاف ٢/٢٩٠.

وتجده أيضاً مناسبًا لسياق الآيات بعدها في قوله تعالى في عقاب الكافرين، ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ [هود: ١٠٩]، فالشيء الوافي "الذى بلغ التمام، وتوفية الشيء بذله وافيا"(١)، وعلى ذلك تكون التوفية هي بذل الشيء، وإعطاؤه وافياً كاملاً غير منقوص، فجاء قوله هنا للكافريين ﴿لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ على سبيل التهكم بهم، "فكأن لهم عطاء يسألونه فوفوه"(٢).

لذلك جاء قوله: ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾، فكان من التقابل لقوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، فكما كان العطاء للمؤمنين بالسعادة والخلود في الجنة، والعطاءات الكثيرة لهم غير المتناهية، وغير مقطوعة وممنوعة كان أيضاً للكافرين عطاء بالعذاب غير منقوص، وهو على حدّ قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الانشقاق: ٢٤] تهكمًا بهم، فكانت دلالة السياق إما عن طريق التناسب والتوافق والتقارب فى المعاني وإما عن طريق المقابلة.

والعطاء الرباني هنا يتناسب أيضاً مع سياق السورة الكبير، حيث ذكر فيها الكثير من أنواع العطايا الربانية لعباده في الدنيا والآخرة،حيث ابتدأت بعطية عظيمة وهي القرآن الكريم: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، واختتمت أيضاً بنوع عظيم من العطايا المعنوية: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

وتخلل ما بينهما في السورة كثير من أنواع العطايا الدنيوية والأخروية، الدنيوية للمؤمن والكافر، والأخروية العطاء العظيم للمؤمنين، والخسران الكبير

(١) المفردات ٥٢٩.

(٢) التحرير والتنوير ١٦٩/٥.

للكافرين، وهذا ما تدور عليه السورة وهو ما جاء في سياق آيات العطاء هنا ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، حيث سبقها جمع وتقسيم للشقي والسعيد، ثم فصل حال كل منها من قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود: ١٠٥-١٠٨]. ننتقل إلى عطاء آخر وصفة أخرى له بكونه غير محظور.

الآية الخامسة

قوله تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠].

"مقصود السورة على الإحسان"(١)، كما جاء في نظم الدرر، لما سبق في الآيتين قبلها.

هذه الآية تذييل فهى خلاصة أو مجمل لما فصل في الآيتين السابقتين، وهما قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٨-١٩].

حيث تبين الآية المجملة أنه سبحانه وتعالى يغدق من عطاياه ويفيض من خيراته على العباد جميعًا المؤمن منهم والكافر، الطائع والعاصي، لمن كان لا يريد سوى الحياة الدنيا أي من كان قصارى همه الدنيا فقط ومتاعها، أعطاه الله منها، بل يعاجله بالعطاء كما يريد لأنه لا يريد سواها، ولكن لا يكون له من

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ٣٧٢/٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

الآخرة نصيب، ومصيره فيها جهنم، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ [هود: ١٥-١٦]، وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠] .

وفي الجانب المقابل وعلى النقيض من حال هؤلاء العاصين، حال المؤمنين الذين لا يريدون سوى الآخرة بشرط السعي لها والإيمان بها، فهؤلاء لهم من الله العطاء ليس في الدنيا فقط، بل في الآخرة، والآخرة خير وأبقى، قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وقال تعالى: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

فجاءت الآية الكريمة: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠] تذييلًا وإجمالًا للتفصيل، وهو أن الله –عز وجل– وعد بعطائه العظيم كلًّا من الفريقين المؤمن والكافر، فهو ليس محظورا ولا ممنوعاً لأحد من خلقه، فسبحانه خلقهم وضمن لهم رزقهم، وهو أيضاً مما يؤيد ما جاء على لسان سيدنا موسى في آية سورة طه السابقة التي تفيد هذا المعنى وتقرره، ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]، فجاء فيها بلفظ "خلق" وهو عام للمؤمن والكافر، بل إنه يشمل كل ما خلق الله عز وجل، فتجد كلتا الآيتين وكلا العطاءين يعضِّد ويؤكد ويقوِّى بعضهما بعضًا.

وابتدأت الآية الكريمة بلفظ "كل" الذي يفيد العموم والشمول، أي: كلا الفريقين المؤمن والكافر، فجاء التنوين فيها عوضاً عن المضاف المحذوف.

و"كَلاً "مفعول به مقدم للفعل "نُمِدُّ"، وقدم للتأكيد على معنى العطاء، وإشارة إلى محل هذا العطاء وهم كلا الفريقين المؤمن والكافر.

وممَّا بين زيادة هذا العطاء وشموله، تعلق" كُلاًّ "و"عطاءً" بالفعل "نُمِدُّ"، الذي يدل على الزيادة والاستطالة والشمول بلفظه، وبصيغته المضارعة التي تدل على تجدد هذا المدد واستمرارية العطاء، فقوله: "نمد" فعل مضارع أصله مدد (فالميم والدال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على جر شيء في طول واتصال شيءٌ بشيءٍ في استطالة، ومَدَّ النَهْرُ، ومَدَّهُ نَهْرٌ آخر، أي زاد فيه وواصله فأطال مدَّته)[١].

والمعنى المحوري للفظ "مَدَّ": (استطالة جِرْم الشيءِ في نفسه أو باتصاله بغيره، فيزيده طولاً واستمراراً، أو قدراً)[٢]، وعلى هذا فالفعل "مَدَّ" فيه بسط وإطالة ودوام وخير، لأن الإمداد يكون في الخير، وفي (المحبوب)[٣].

والزيادة والمد ودوامه واستمراره مصدره عطاء "ربك" فالجار والمجرور متعلق بالفعل "نمد".

وقوله: " هؤلاء وهؤلاء " بدل [٤] من قوله: " كُلاًّ "وهو بدل مفصل من المجمل وهو " كُلاًّ " وأفاد البدل هنا التقرير إلى جانب زيادة وسعة عطاء الله فيشمل هؤلاء وهؤلاء.

---

(١) مقاييس اللغة ٢٦٩/٥.

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، محمد حسن حسن جبل، ٢٠٤٣/٤، ط ١ القاهرة، مكتبة الآداب ٢٠١٠م.

وإذا نظرنا إلى أصواته نجد أن الميم تعبر عن تضام والتئام ظاهري، والدال عن ضغط لمن يؤدي إلى تماسك وامتداد أو احتباس، والفصل منهما يعبر عن تماسك الجرم، ويتمثل ذلك في استطالته أو تجمعه كما في المديد القامة.

(٣)المفردات ٤٦٦ .

(٤) إعراب القرآن وبيانه ٤٠٧/٥

وفي قوله: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ لف ونشر مرتب، فهؤلاء الأولى للفريق الأول، وهو من يريد العاجلة، وهؤلاء الثانية للفريق الثاني وهو من يريد الآخرة، وهو على حد قول الشاعر:

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلان عير الحى والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثى له أحد.

فاللف والنشر كان له دور في توكيد المعنى وتفخيمه وتعظيمه ، كما أن فيه دلالة على الإقناع فهو يثير في نفس المتلقى المشاركة للتفكير والتدبر للمعنى، وربط للكلام أوله بآخره والعكس.

فعطاء الله شامل عام كثير، وسع كل شيء، فهو أصل يؤخذ منه كل عطاء أو يفرع منه كل عطاء ودلَّ على هذا المعنى مجيئه بصيغة اسم المصدر "**عطاء**"(١)، فهو أصل لكل خير وزيادة ومدد يظهر ذلك في امتداد الصوت فيها في المد المتصل الذي يعبر عن امتداد العطاء وزيادته ووفرته وبسطه وسعته، وأن كل ما في هذه الأرض جميعها ومن عليها وكل ما هم فيه من خير ونعمة، هو جزء من عطاء رب العباد، ودلَّ على ذلك مجيء "من" التبعيضية.

وزاد في هذا المعنى مجيء "**عطاء**" نكرة دلالة على التنوع، والشمول والعموم، والكثرة، وزاده تشريفًا وتعظيمًا إضافته للفظ "**رب**"، فالعطاء عطاء ربوبية، فسبحانه رب الخلق أجمعين، متكفل بهم، خَلَقهم وضمن لهم رزقهم، فقد أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، فانظر إلى هذا الترابط العظيم للفظ العطاء ومعناه في الذكر الحكيم في السياق الأكبر.

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، العقيلي، المصري، الهمداني، ٩٨/٣، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢٠، رمضان ١٤٠٠ هـ، يوليو ١٩٨٠م، دار التراث القاهرة، دار مصر للطباعة.

وزاد المعنى تشريفاً وتعظيماً إضافة " **رب** " إلى " **كاف الخطاب** " والمقصود منها نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم–، وهذا مما يشير ويؤكد عظمة العطاء، وفيه تشريف وتكريم للنبي ﷺ ولأمته من بعده، فجاء العطاء مضافًا إلى " رب"، و" رب" مضافة إلى كاف الخطاب، فالتعريف بالإضافة (ليس للمتكلم طريق إلى إحضاره في ذهن السامع أخصر منه، أي : يقصد إليه رغبة في الإيجاز)[١].

وترتب على هذا أن عطاءه لا ينفد أبداً، ولا يمنع ولا ينقطع، لذلك جاء التذييل في آخر الآية بقوله: ﴿**وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا**﴾، فالآية كلها تذييل وبداخلها تذييل آخر مما يقوى المعنى ويؤكده.

حيث أفاد هذا التذييل أن عطاءه سبحانه كان وما زاله ممتداً على مر العصور والأزمنة والأمكنة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، حيث نفى أن يكون محظوراً أي محبوساً أو ممنوعاً، فعبر بالفعل: "كان" الماضي، دلالة على التأكيد وتحقق الوقوع، فهو أمر أزلى قضاه الله وحكم به، ثم في تكرار قوله: "**عطاء ربك**" به من التوكيد أيضاً، وإقامة الاسم الظاهر مقام المضمر في قوله "**ربك**" كان من الممكن أن يقول: "وما كان عطاؤه محظورًا" فأقام الظاهر مقام المضمر؛ لتقرير معنى العطاء وشموله، وللتأكيد على أنه عطاء رباني يشوبه الرفق واللطف، والرأفة والرحمة، وأقام أيضاً الظاهر مقام المضمر في لفظ "عطاء" فكان من الممكن أن يقول: "وما كان محظورًا" دون تكرار لفظ "عطاء"، إلا أنه جاء بهما "**عطاء ربك**"؛ لتأكيد وتقرير المعنى حيث أكد العطاء وأكد كونه ربانيًّا.

(١) خصائص التراكيب "دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني "، د/ محمد محمد أبو موسى، ٢٤٧، مكتبة وهبة، ط ٨، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

وزيادة في تقرير العطاء عبر بقوله "**محظورا**" في سياق النفي حيث نفي أن يكون محظوراً، كما عبر بلفظ "**الحظر**" دون "**المنع**" [(١)]؛ لأن الحظر هو أقل من المنع، فالحظر لا يعنى المنع الكامل بخلاف المنع فإنه يعنى حظراً تاماً، فلذلك نفت الآية أن يكون هناك مجرد منع ولو كان قليلاً لعطاء الله فهو غير ممنوع البتة، بل لكل خلقه، كل له نصيب، فسبحانه لا مانع لعطائه، والتعبير باسم المصدر "**عطاء**" أفاد المبالغة، وتأكيد المعنى.

فتجد "**العطاء**" هنا بصيغته المصدرية ومعناه العام المطلق، وتتناسب مع سياق الآية، فقد شملت ذلك العطاء وتكرر فيها وتقرر، بل لم يكن محظوراً فعندما تتأمل لفظ محظوراً بمده وزيادته الذي يقوي معنى عدم الحظر الذي لا نهاية له.

فجاءت هذه الآية تذييل لما سبقها وهي على إيجازها لفظاً جمعت كثيرًا من المعاني وبداخلها تذييل وإيجاز آخر وهو ﴿**وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا**﴾ إلى جانب الطباق بين "عطاء" و" محظورا " ، وهذا ما يؤكد ويقرر العطاء الرباني المطلق غير المتناهي، فإذا نظرنا إلى صيغة اسم المصدر التي ورد بها العطاء هنا فتجد امتداد للعطاء وبسطه أفاده المد المتصل فيها.

وتناسب أيضاً مع سياق الآيات قبلها في السياق السابق في قوله تعالى: ﴿**مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا**﴾ **[الإسراء: ١٨]**، ففيها عطاء، ﴿**وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا**﴾ **[الإسراء: ١٩]** هو عطاء.

(١) " الحظر : هو الحجر ، وهو خلاف الإباحة ، والمحظور : المحرم . والمنع : أن تحول بين الرجل وبين الشيء الذي يريده ، وهو خلاف الإعطاء . اللسان مادة " حظر " و " منع " .

وتناسب العطاء أيضاً مع السياق اللاحق في قوله تعالى في الآية التى تليها: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١]، ففيها عطاء متحقق، وفيه تفاضل بين العباد، فسبحانه يعطى كلا ما ينفعه، وما فيه مصلحته، وبه تقوم أمور حياته، فهذا في الدنيا، فكيف بعطاء الآخرة وقال تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ فهو عطاء أعظم.

كما أن هذه الآية أيضا في السياق اللاحق مؤكدة للآيات قبلها ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء: ١٨-٢٠]، فتجد الآية التي صرح فيها بلفظ العطاء متعلقة بما قبلها، وما بعدها، في سياق محكم تعضد آياته بعضها بعضًا، ويؤكد بعضها بعضًا.

كما أنها تتنسق وتتناسب مع سياق السورة، فالسورة ابتدأت بالعطاء ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء: ١-٣].

وفي ثناياها عطاء القرآن وشفاؤه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، والمقام المحمود لنبيه –صلى الله عليه وسلم–: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

وتجد أيضاً عطايا كثرة: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢]، وغيرها من ألوان العطايا الكثيرة المنتشرة في السورة وآياتها.

فهي سورة مكية ومعنى العطاء قائم فيها حتي إن ما فيها من الأوامر والنواهي هي من جملة العطايا التي بها قوام الحياة، واعتدالها، وميزانها وإصلاحها.

الآية السادسة:

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩].

وردت هذه الآية في سياق التحدث عن سيدنا سليمان –عليه السلام– وما خصَّه الله به من عطايا كثيرة لم تكن لأحد من بعده كما جاء في الذكر الحكيم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴿٣٥﴾﴾ [ص: ٣٤-٣٥]، فأعطاه الله سؤله وأجاب دعاءه دون مهلة أو ترقب فعبر عن ذلك بالفاء التي تفيد التعقيب وتشير إلى سرعة الاستجابة ونيل العطاء، قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾﴾ [ص: ٣٦-٣٩].

فأشارث الآية الكريمة موضع البحث في قوله: "**هَذَا عَطَاؤُنَا**" إلى ما كان من تفصيل فى الآيات السابقة لأنواع عطايا الله سبحانه وتعالى له من تسخير الريح التي تجري بأمره رخاءً حيث أصاب، وتسخير الشياطين له من عامل في البناء، وغواص في البحار، ومن شاء أن يقيده منهم قيده، ومن شاء أطلقه،

فأشار باسم الإشارة "**هَذَا**"[١] في بداية الآية إلى تلك العطايا مما يدل على التعظيم، وعلى تمييز هذا العطاء وكونه مشاهدًا محسوسًا فلا يمكن أن ينكر، وفيه دلالة على قرب هذا العطاء وتملكه.

وزاد هذا العطاء تعظيماً إضافته إلى المولى سبحانه وتعالى: "**عَطَاؤُنَا**" فأضيف إلى "**نا**" الدالة على العظمة، فهو عطاء ربوبية، ودليل ذلك ما ورد فى سياق الآيات قبلها: ﴿**رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا**﴾، حيث دعا ربه فأعطاه سُؤْلَه.

كما وردت لفظة العطاء بصيغة اسم المصدر "**عطاء**" دلالة على كثرة العطايا، ووردت نكرة لتنوعها.

وزيادة في الإكرام والعطاء والمنة ترك ربنا سبحانه وتعالى لنبيه سليمان – عليه السلام– حرية الاختيار والتصرف في ملك الله وعطائه –سبحانه– بما يشاء ويختار، بقوله: "**فَامۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ**" فلفظ "**العطاء**" هنا إجمال خصص منه من ناحية المعاملة المنة أو الإمساك بقوله: "**فَامۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ**"، ودلَّ بذلك على أن المَن يندرج تحت العطاء، فله مطلق الحرية والاختيار فيما أعطى من سلطة ونعمة، فى أن يعطي من يشاء وكيف يشاء، أو أن يمسك عمن يشاء، أي له الحرية في المن أو الإمساك، فالأمر هنا في الفعلين "امنن أو أمسك" للتخيير والإباحة والإذن.

ولذلك عبر بمادة العطاء دون الإيتاء، لأن العطاء فيه تمليك، فالله –عز وجل– ملَّكة إياه فله مطلق التصرف فيه، وليس ذلك فى الإيتاء، لأن الإيتاء قد ينزع من الشخص لأنه لا تمليك فيه، أما العطاء فلا؛ لأنه يقتضي التمليك، قال

(١) معاني النحو، د/ فاضل صالح السامرائي، ٨٨/١، دار الفكر للطباعة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠ م .

تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ٢٦].

والمَنَّ(١) هنا كناية عن العطاء بلا عوض، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤]، فجاء المَنَّ هنا في هذه الآية مقابلاً للفداء وهو الإطلاق مقابل عِوض.

فعلى هذا المعنى وهو العطاء بلا عوض يكون المعنى أن تنفق مما أعطاك الله دون أن تنتظر مِمَن تعطيه مقابلة ذلك بالإحسان والإنعام، فأحسن كما أحسن الله إليك.

فيكون "**المَنّ**" هنا مرتبة تأتى بعد العطاء، ودليل ذلك الترتيب بالفاء فى قوله: "**فَامْنُنْ**"، فبعد العطاء العظيم والخير الكثير من الله أباح لك أن تأخذ منه فَتُنعِمَ على عباده وتنفق.

أو يكون المَنّ هنا على حقيقته وهو أن تعطيهم مذكراً بنعمة الله عليك، أي أن هذا مما أعطاك الله فتعطيهم متفضلاً عليهم بذلك كما تفضل الله به عليك، فتَمُنَّ عليهم بهذا العطاء ويكون فعل "**المَنّ**" هنا من الخصائص التى ميز الله بها سيدنا سليمان، فكما استجاب الله سؤله فى أن يهب له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فلا مانع أن يأذن له فى أن يمَن على عباده بالعطاء، يقال: "مَنَّ فلانٌ على فلان إذا أثقله بالنعمة" (٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فالله سبحانه وتعالى أعطاه حُكْماً وعِلماً وسخَّر له نواميس الكون، وسخر له الشياطين فلا مانع إذا في أن يعطيه –سبحانه– صفة مِن صفاته في المَنِّ

(١)المَنّ: مَنْ يَمُن مناً، إذا صنع صنعاً جميلاً. ومن الباب المنة، وهي القوة التي بها قِوامُ الإنسان. مقاييس اللغة ٢٦٧/٥.

(٢)المفردات ٤٧٥.

على من يعطيه، وخاصة إذا كان من مَرَدَة الجن والشياطين، قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١]، ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٢].

وكما ذكر عطاءاته في الآيات السابقة لهذه الآية في السياق هنا، فيكون قوله: "**امنن**" مناسباً لسياق الآيات، وسياق العطاء في جانب سيدنا سليمان.

ومن كمال العطاء حرية الاختيار في المَن أو الإمساك مؤكداً هذا المعنى وهو حرية العطاء وعظمته بالطباق بين اللفظين "**امنن، أمسك**" يتصرف كيف شاء، يؤتي من يشاء، ويمسك عمن يشاء.

ولذا قال بعده "**بغير حساب**"، أى أمنن أو أمسك غير محاسب في ذلك، ولا مؤاخذة عليك فهو مطلق العطاء والحرية، إذا اعتبرنا "**بغير حساب**" متعلق بـ" **امنن أو أمسك**".

ويجوز أن يكون قوله "**بغير حساب**" متعلقاً بقوله: "**هذا عطاؤنا**" ويكون "**امنن أو أمسك**" اعتراض بين قوله "**هذا عطاؤنا، بغير حساب**"، فيكون "**بغير حساب**" كناية عن كثرة العطاء أو أنه عطاء غير متناهي لا حدود له، فهو عطاء واسع وافٍ.

وفى كلتا الحالتين دلَّ على عظمة العطاء الرباني الذي خَصَّ به نبيه سليمان –عليه السلام–، بل بلغ من كثرته وعظم نعمه عليه أن جعله يتصرف فيه كما يشاء وفيه إشارة لإنعامه سبحانه على عباده.

وأكد المعنى هنا بالجملة الاسمية "**هذا عطاؤنا**"، وباسم المصدر "**عطاء**"، وإضافته إلى "**نا**" العظمة، وبقوله: "**بغير حساب**"، واسم الإشارة "هذا".

وكان مناسباً لسياق الآيات قبلها في قوله: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ [ص: ٣٥]، فدَّل على عظم العطاء، كما وضح البحث أن الهبة نوع من العطاء، وأن العطاء أعظم وأشمل.

وتأمل المغايرة في التعبير في السياق بين الهبة، والعطية، والمن، في قوله: "**وَهَبْ لِي مُلْكًا**"، ثم قال تعالى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩]، فلما سأل الله الهبة أعطاه ثم قال له: "**امنن**"، فالهبة تكون عن سؤال واحتياج، ولذلك سأل رَبَّهُ قال: "**هَبْ لِي**" كما أنه في الغالب لا ينتظر الواهب رداً من الموهوب، فما بالنا وهو سبحانه الوهّاب، ولذلك لما سأله "أعطاه" أي ملَّكَه إياه وجعله في متناوله وقريبا منه، ولذلك أمره بالمَن أو الإمساك، فقال له: "**فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ**".

وتناسب العطاء الرباني هنا مع السياق اللاحق، فتتوالى الآيات بعدها بسلسلة من العطايا، كما في قوله تعالى: في قصة أيوب، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٤٣]، وفي إبراهيم وإسحق ويعقوب: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ [ص: ٤٦].

وتناسب العطاء مع سياق السورة حيث افتتحت بأعظم عطية ربانية وهي القرآن، ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص: ١]، وتتوالى في السورة عطايا عظيمة وكثيرة أعطاها ربنا سبحانه للخلق جميعاً ومنهم أقوام الأنبياء السابقين، ومع ذلك كذبوا وجحدوا آيات الله ونعمه.

الآية السابعة:

قوله تعالى: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ **[النبأ: ٣٦]**.

هذه الآية من تعابير الكرامة والحفاوة لأهل الجنة من ربهم سبحانه وتعالى الكريم المنان، تفضلاً وإحسانًا منه – عز وجل –، وكل ما في الجنة هو عطاء وتفضل، حيث جاءت الآية عقب سلسلة من العطاءات المتتالية، وما أعده الله من النعيم المقيم والفوز العظيم في الدار الآخرة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ **[النبأ: ٣١-٣٦]**.

فهذه الآية غاية في الإيجاز عقب بها سبحانه وتعالى على النعيم المعدِّ للمتقين، وتجد هنا ما يعضِّد ما كان في آية سورة الإسراء من معنى العطاء فيها فى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ **[الإسراء: ١٩-٢٠]**، حيث تجد هنا بعضا من التفصيل من جملة هذا الجزاء والعطاء والمدد من قوله تعالى: **(لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا)** إلى آخر الآيات التي فيها أنواع من العطايا الربانية.

وابتدأت الآية هنا بقوله "**جزاء**"، وهو (مفعول مطلق لفعل محذوف أي جزاهم الله بذلك جزاءً)[(١)]، والمفعول المطلق مؤكد للمعنى، فابتدات الآية بتوكيد لما سبقها في السياق من أن هذه النعم يستحقها المتقين فلذلك عبَّر بقوله: "**جزاء**"[(٢)]، لأن الجزاء هو عطاء استحقاق، أي : استحقوه بسبب سعيهم للآخرة

(١) إعراب القرآن وبيانه ٣٥٨/١٠.

(٢)الجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ويقال جزيته كذا وبكذا. المفردات ٩٣، "الجيم والزاي والياء"، قيام الشيء مقام غيره ومكافأته إياه" مقاييس اللغة =

وإيمانهم بها، فكما قال تعالى: **(كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا)** فكان هذا شكر لهم من رب العباد، لذلك جاء وصف هذا الجزاء بقوله : "**من ربك**"، فدل على عظم هذا الجزاء، فرب العباد لا يجزيهم إلا بالخير، فصفات الربوبية كما ذكر من قبل، صفات رحمة ورأفة وكرم، ولذلك عبر ب"**رب**"، دون لفظ الجلالة "**الله**"، بعظمته وقوته وجلاله، فناسب هذا المقام والسياق التعبير ب"**رب**"، وزادها عطاءً وكرماً إضافتها ل"**كاف الخطاب**" والمقصود بها النبي –صلى الله عليه وسلم–، فهو بالمؤمنين رؤوف رحيم، فكان هذا الجزاء والعطاء نظير اتباعهم لنبيهم، لذلك عبر بالمصدر "**جزاء**" للمبالغة.

ثم ترقى المعنى وتصاعد بذكر لفظ عطاء الذي قد يكون بدلا من "**جزاء**"[1]، أو يكون منصوباً بالمصدر جزاء أي جزاهم عطاء، وإذا كان بدلاً من جزاء يكون المعنى أن الله جزاهم بهذا العطاء لكونهم يستحقون ذلك جزاء أفعالهم. وإذا كان منصوباً "**عطاء**" بالمفعولية لـ"**جزاء**" فيكون المعنى أنه دليل على عظم هذا الجزاء، وتفضل الله على عباده بهذا العطاء، فكانت المعاملة بالفضل لا بالعدل، أي فوق ما يستحقون وزيادة.

لذلك كان "**عطاء**" بصيغة اسم المصدر دلالة على الكثرة والمبالغة والتأكيد، والإيجاز الذي ينطوي تحته كثير من معاني العطاء.

وزيادة في المبالغة في العطاء وعظمه، وصف بقوله: " **حساباً** " [2] وهو اسم مصدر من "أحسبه"، فيكون معناها "**كافيا**"، من الكفاية أى أعطاهم سبحانه

=

.٤٥٥/١

(١) إعراب القرآن و بيانه ١٠ / ١٣٥٨.

(٢) "عطاء حسابا" أى: كافياً من قولهم حسبي كذا، وقيل أراد منه عملهم، فسماه بالحساب الذي هو منتهى الأعمال، وقيل ذلك إشارة إلى قوله ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا**

=

وتعالى وما زال يعطيهم ويضاعف لهم العطاء حتى يقولوا حسبنا حسبنا أى: كفانا كفانا، أى :أنهم وصلوا إلى غاية الرضا و الكفاية، وهو ما جاء أيضا بهذا المعنى : في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ **[الضحى: ٥]**.

وقد يكون من الحساب بمعنى العد والإحصاء[١] من الفعل "**حسب**" لا "**حاسب**"، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَۚ﴾ **[الإسراء: ١٢]**، فيكون معناها سعة فضل الله وعطائه.

(وعن أبى سعيد الخدرى أن النبى –صلى الله عليه وسلم– قال « إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة. فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير فى يديك. فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون يا رب وأى شىء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا»[٢].

والتعبير باسم المصدر "**حسابًا**"؛ للدلالة على المبالغة والتأكيد والإيجاز.

وتأمل إلى تتابع الفتحات وكثرتها في هذه الكلمات "**جزاء**"، عطاء، حساباً، والتنوين فى آخرها، يدل على كثرة الخيرات والعطاءات، وكأنها فتح ونصر عظيم.

= **سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩]**. المفردات ١١٧، الحاء والسين والباء أصول أربعة الأول: العدِّ، تقول: حسبت الشيء أحسبه حسباً، والأصل الثانى: الكفاية، يقال: أحسبت فلانا إذا أعطيته ما يرضيه" مقايس اللغة ٥٩/٢ بتصرف.

(١)المفردات ١١٦.

(٢) صحيح مسلم، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ١٤٤/٨، برقم ٢٨٢٩، دار الطباعة العامرة – تركيا، ١٣٣٤هـ.

وكذلك المد المتصل في كلمتي عطاءً، جزاءً، دلالة أيضاً على الخيرات غير المتناهية الممتدة والتي لا يحصيها عد، فسبحانه كل حرف وحركة وصوت في كتاب الله له من الدلالات العظيمة والتركيبات البليغة.

فهذه الآية بلغت الغاية فى الإيجاز والإعجاز، حيث حوت ألفاظا معدودة إلا أنها يندرج تحتها كثير من المعانى، فالله –عز وجل– أعطى المتقين ثواباً على طاعتهم إياه في الدنيا تفضلاً منه عليهم بذلك الجزاء، فهذه الزيادة وإن كانت جزاء فهي عطاء وتفضل منه تعالى.

ومن البديع فيها موسيقى التقسيم بين جزاء، وعطاء، وحسابًا وهو مما تجده أيضًا في فواصل السورة كلها مما يحدث نوعاً من الإيقاع يهز النفوس ويحرك الوجدان.

وإذا تأملت تجد الآية حوت ثلاث كلمات (جزاء عطاء حساباً) لكل لفظ معني لا يشاركه فيه غيره وقد أشرت إلى بعض من هذه الفروق، فالجزاء[١] مقابل عمل، والعطاء منة وفضل زائد، والحساب[٢] قد يكون من الكفاية [٣] بمعنى الحسب، وقد يكون من العد والإحصاء، وقد يكون من المُحَاسَبِ أى حاسب، فَعَل فِعلا فحُوسب عليه.

ويرجح في الحساب هنا معني الكفاية، وهو مأخود من قوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ **[هود: ١٠٨]**، وقد سبق بيانه، مما يبين اتصال معنى العطاء وصفاته من أول وروده في الذكر الحكيم إلى آخر وروده فتجد اتصالًا وثيقًا للعطاء الرباني فى السياق الأكبر سياق القرآن الكريم.

---

(١)الجزاء: " المكافأة على الشيء " ينظر المعجم الاشتقاقي المؤصل ٣٠٧.

(٢)وأحسبه أعطاه فأكثره أو أعطاه ما يرضي، عطاء حسابا أي :كثيراً . المعجم الاشتقاقي المؤصل ٤٢٦.

(٣) "أَحْسَبَ": يكفي عبده في جميع أحواله وأشغاله . المعجم الاشتقاقي ٤٢٧.

ونتيجة لما سبق نجد ذكر لفظ "**عطاء**" هنا تناسب مع سياق الآية "الجزاء، والحساب"، " من ربك "، فالعطاء زائد على معنى الجزاء يصل لغاية الرضا، فهو متناسب مع آيته، ويتناسب أيضا مع السياق السابق، فكان العطاء منه الفوز للمتقين، وأشكال وأنواع الخيرات في الآخرة من الحدائق والأعناب وغيرها كما ذكرت الآيات.

كما تجد هذه الآية أيضاً على النقيض أو في المقابل لما سبق في السياق في قوله تعالى: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ **[النبأ: ٢٦]**، فانظر إلى التغاير والتقابل بين الآيتين كيف أن هذا جزاء وفق أعمالهم، ولا يظلم ربك أحدا، هذا في جانب الطاغين، وفي جانب المتقين كان عطاء حساباً، كان نعيمًا يحيط بهم في جميع أحوالهم.

وتجد العطاء أيضا تناسب مع السياق اللاحق، فالرب المتفضل بالعطاء هو رب السماوات والأرض وهو الرحمن، فهو مالك كل شيء يتفضل بالعطاء على من يشاء من خلقه، قال تعالى: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابًا﴾**[النبأ: ٣٧]**.

وتناسب أيضا مع سياق السورة فقد اشتملت على كثير من العطايا، والخير، وما تفضل الله به على عباده مما يساعدهم في تعمير دنياهم، من قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدًا﴾ **[النبأ: ٦]**.

وإلى هنا ينتهي ذكر العطاء الرباني فتجده فى اسم المصدر ترقى وتصاعد حيث ورد بداية من كونه غير مجذوذ إلى كونه غير محظور، إلى التخيير في المن به أو الإمساك، وانتهى بقوله: عطاء حسابا، حيث وصل إلى أقصى درجاته.

المبحث الثاني:

جماليات التعبير البلاغي عن مادة العطاء الإنساني

ويشتمل على:

أولًا : التعبير بصيغة الفعل الماضي.

ثانيًا : التعبير بصيغة الفعل المضارع.

آيات العطاء الإنساني

الآية الأولى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴿٣٥﴾﴾

[النجم: ٣٣-٣٥].

الآية الثانية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الليل: ٥-٧].

الآية الثالثة: ﴿فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ [القمر: ٢٩].

الآية الرابعة: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

الآية الخامسة: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨].

أولًا : التعبير بصيغة الفعل الماضي:

حيث أفاد تحقق وقوعه في الجانب الإنساني

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴿٣٥﴾﴾ [النجم: ٣٣-٣٥].

تتحدث الآيات هنا عمن أعرض وانصرف عن آيات الله وعن الإيمان بنبيه إذا نظرنا إلى سبب نزولها[١] وهو الوليد بن المغيرة عندما اتبع رسول الله –

(١)أسباب النزول لأبي الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ) ٣٩٩-٣٩٨، تخريج وتدقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح الدمام، ط: ٢ ١٤١٢ هـ ١٩٩٢م.

صلى الله عليه وسلم- وعيره بعض المشركين فقال إني خشيت عذاب الله فوعده أحدهم أن يضمن له إن أعطاه شيئا من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه العذاب في الآخرة فأعطاه بعض ما كان ضمن له أو وعده به ثم منعه.

وإذا أخذناها على العموم بمن تولى وانصرف عن آيات الله بعد ما جاءته وانصرف عن عبادته مع علمه بأنه سبحانه وتعالى هو خالقهم مالك السموات والأرض وما فيهن وله ما في السموات وما في الأرض سيجزي كل إنسان بعمله إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، سيجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وهو ما يصدق أيضا ما سبق في آيات العطاء الرباني في قوله تعالى: ﴿**كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا**﴾ **[الإسراء: ٢٠]**، ﴿**جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا**﴾ **[النبأ: ٣٦]**، فكل إنسان يجزى بعمله ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾ **[المدثر: ٣٨]**.

ثم ذكرت الآيات صفات وخصائص للذين أحسنوا (**للمحسنين**)، بكونهم يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، إلا اللمم، ولكنه سبحانه واسع المغفرة، وهو أعلم بخلقه، لأنهم صنعته فسبحانه من خلقهم، فالخالق أعلم بخلقه، والصانع أعلم بصنعته، وقد أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، فلا داعى لأن يفتخر إنسان بعبادته أو يتباهى على أحد من خلقه، أو بالعطاء الرباني الذي رزقه الله به إذ لا دخل له به، فسبحانه أعلم بعباده من أحسن ومن أساء ، ومحاسب كلا بعمله.

ورغم هذا يأتي من يتولى ويعطي قليلا وأكدى من عطاء الله له، فيا للعجب من صنعه وحاله!، وعبر عن هذا الاستفهام التعجبي عن توليه وإعراضه وانصرافه بعد ما جاءته البينات السابق ذكرها في السورة، فتجده معرضًا

لا يصدق ولا يؤمن، فجاء بالفاء التفريعية[١] في قوله "أفرأيت" دلالة على هذا المعنى أي على ما قبله، فالسياق بعد **(الفاء)** مترتب على ما قبلها.

فاستعار التولي هنا وهو الإدبار والإعراض لعدم الدخول في الإيمان، فشبه عدم دخوله فى الإيمان بالتولي، وحذف المشبه، وأبقى على المشبه به، واشتق من التولي تولى على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، والاستفهام التعجبي هنا في قوله: "أفرأيت" جاء في مقام أو سياق الذم لمن تولى وأعطى قليلاً وأكدى.

فعبر بالفعل رأى دلالة على كون حاله مشاهدة واضحة لا ينكرها أحد، وأفاد هذا المعنى وأكده التعريف بالموصولية "**الذي**"، وأفرد "**الذي**" دون أن يأتي به جمعا للدلالة على أن هذا هو حال كل من تولى، فمنطق الكفر واحد، قال تعالى: ﴿**أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ**﴾ **[الذاريات: ٥٣]**، حيث لم يذكره صراحة للتحقير من شأنه ولإرادة العموم.

ثم تدرج المعنى فلم يكتف بالتولي فقط بل "أعطى" ولكنه أعطى ولم يكتف بالقلة فقط، بل أكدى فتدرج المعنى بالنقص في العطاء بقلته ثم منعه، مما يزيد من ذمه وذم حاله، فهذه مذمة أخرى، نصَّت وأكدت ذمه.

وزاد المعنى تأكيد وتوضيحا الاستعارة التصريحية التمثيلية فى هذه الآية حيث شبهت حال من يعطى قليلا ثم يمسك عن العطاء بمن يكدي أي يمسك عن الحفر بعد أن حيل دونه بصخرة صلبة فأكدى هي من "الكدية" وهي صلابة في الأرض، يقال: حفر فأكدى إذا وصل إلى كديه، واستعير ذلك للطالب المخفق والمعطى المقل [٢].

(١) الجنى الداني ٦١ .

(٢) المفردات ٤٢٨، ينظر مقاييس اللغة ١٦٦/٥، والمعجم الاستثقافي المؤصل ١٨٧٤/٤.

وزاد المعنى وضوحا الطباق بين أعطى وأكدى، وزاد الطباق حسنا مجيئه في معرض السجع وهو متناسب مع فواصل الآيات في السورة.

ومع لطائف الذكر أن لفظ أكدى لم يرد إلا في هذا الموضع من الذكر الحكيم ولا أي من مشتقاته.

وإذا تأملت صفات حروف تلك الكلمة أكدى تجدها دالة على معناها فتجد في الهمزة والكاف والدال الشدة فدلت على الشدة والصلابة في الحجر أو في الأرض الذي يمنع من العمل فيها وبالتالى التوقف، وتجد المد بالألف في آخر الكلمة دالة على قوة الصلابة وامتدادها، فهى لا نهاية لها وبالتالي قوة التوقف.

وهذا كله يعطي للاستعارة القوة والتأكيد والتوضيح للمعنى في منع العطاء بعد أن كان قليلا، فتدرج المعنى واشتد ذمه.

فهذا كله مما يثير التعجب والذم لحالهم فمن بخل على نفسه في أن يكرمها وينجيها من العذاب باتباع الحق لا عجب في أن يبخل على غيره بالعطاء بل يمنعه قال تعالى: ﴿**وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ**﴾ **[محمد: ٣٨]**.

فأثارت حاله هذه الدهشة، والسؤال، والعجب ياترى علم أنه لن يعذب، فجاء قوله تعالى: ﴿**أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ**﴾ **[النجم: ٣٥]**.

وفصل بين هذه الآية والآية التي قبلها لشبه كمال الاتصال فجاء الاستفهام الإنكاري في هذه الآية لينكر عليه حاله؛ لأنه أورد نفسه موارد الهلاك والعذاب، فلعله يكون قد اطلع على الغيب فعرف أنه لم يعذب، ولذلك قدم "عنده"؛ ليشير إلى مزيد ذمه كأنه أمر أو اعتقاد في مخيلته فقط، وزيادة في تحقيره، وبعده عن هذه المنزلة، وسخرية وتهكما به ومن حاله.

وفرع على هذا الإنكار لحالته تعجباً من كونه يرى ما عند الله فيعرف إلى أين سيكون مآله ومصيره، فقال: "**فهو يرى**"، بتقديم الضمير –المسند إليه–:

"**هو**" على المسند "**يرى**" أو بمجيء ضمير الفصل "هو" بدلا من أن يقول "**فيرى**" مما يقوي المعنى ويؤكده، "وهذا التقوي بناء على ما أظهر من اليقين بالصفقة التي عاقد عليها وهو أدخل في التعجب من حاله"(١)، وأشارت الآيات بعد هذه الآية إلى مزيد من التوبيخ.

وبالتأمل تجد العطاء الإنساني هنا قُيِّد أو وصف بالقلة **(أعطى قليلا)** بل إنه يقل إلى أن يمنع **(وأكدى)**، يصل إلى حد المنع.

وتجد فعل الرؤية هنا في قوله "**أفرأيت**"، "**فهو يرى**" دلالة على تحقق الحال وتأكيده فأصبح واضحا مشاهداً، تراه يتولي ويعطي قليلا وأكدي، فهذا أدعي للتحقق من سوء مآله وما وصل إليه وظلم نفسه بإيرادها المهالك.

فتجد قوله أعطى قليلاً مناسب لسياق الآيات فهو منع العطاء بعد أن كان قليلاً **(وأكدى)** ولا عجب في ذلك فما هو إلا متبع للظن، وهو ما جاء في الآيات السابقة: ﴿**إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ**﴾ **[النجم: ٢٣]**.

بل إن العطاء القليل هو سمة من سماتهم فلم يكتف أحدهم بالعطاء القليل للخلق فقط، بل تعديَّ هذا الأمر للخالق سبحانه، حيث جعلوا لله البنات وجعلوا لأنفسهم البنين، ووضح هذا في السياق السابق في قوله تعالى: ﴿**أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾**﴾ **[النجم: ٢١-٢٢]**.

وكذلك تناسب قوله: ﴿**وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ**﴾ **[النجم: ٣٤]** **(العطاء الإنساني)** بالمقابلة في السياق اللاحق في قوله تعالى: ﴿**وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ**﴾ **[النجم: ٣٧]**.

---

(١) التحرير والتنوير ١٢٩/١١.

وتجد على النقيض مِن حال مَن تولى وأعطى قليلاً، مَن آمن وأقبل على الله وصدق، بل وصف بالتقوى، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥-٧].

الآية الثانية:

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥-٧].

وتجد أيضاً من التناسب بين هذه الآيات وما سبقها في سورة النجم مما يوضح تناسب في السياق الأكبر وهو الذكر الحكيم حيث ذكر هناك ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧]، وهو من جانب العطاء الإنساني الذي يبرز العطاء الكريم.

جاءت هذه الآيات تفصيلاً لإجمال سابق في الآية قبلها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ٤]، وهذه الآية المجملة الموجزة هي جواب للقسم الذي افتتحت به السورة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١]، فدل على أهمية المقسم عليه ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾، وبالتالي أهمية تفصيل ما أجمل فيها.

ففي هذه الآية ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ جمع وإجمال مشوق لما بعده، وفيه إثاره للذهن، وإعمال للفهم، ثم ذكر تفصيله، فتمكن في الذهن فضل تمكن، مما يدل على عظم وبيان شأن الإجمال ثم التفصيل، وشدة وقعه في النفوس.

وجواب القسم هو بيان وتوضيح وتأكيد أن سعي الناس في هذه الدنيا مختلف ومتفرق أشد التفرق لدرجة تصل إلى التضاد والاختلاف الشديد، لدرجة

تصل إلى الإيمان والكفر فقوله "شتي" مشتق من "**شتت**"، والشتُ "**هو التفرق الشديد**" [١]

ولأهمية هذا السعي المختلف المتنوع اللازم يجعل الإنسان يصل بسعيه هذا إلى درجة الإيمان أو يصل إلى الكفر، سعيٌ يريد به الدنيا فقط أو سعي يريد به الآخرة، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا**﴾ **[الإسراء: ١٩]**، فتجد المعاني في كل من السياقين يعضد بعضها بعضاً، ولأهمية السعي المتفرق أكد هذا المعنى بإن، واللام [٢] التي دخلت على الخبر "**لشتي**"، خبر إن.

والسعي هنا استعير للعمل والكدِّ، فحقيقته هو "المشي السريع، وهو دون العدو ويستعمل للجد في الامر خيراً كان أو شراً "[٣]، فاختلفت أعمالهم واختلف سعيهم تبعاً لإيمانهم أو كفرهم، لمن كان على هدى أو كان في ضلال، فجاء ما بعدها مفصلاً لحال الفريقين.

وابتدأ السياق بذكر من كان على هدى فبيَّن مظاهر سعيهم وعاقبة أمرهم، قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ**﴾، ابتدأ بـ "**فاء التفريع**" التي رتبت ما بعدها على ما قبلها، و"**أما**" حرف يفيد الشرط والتفصيل[٤]، وهو متضمن أداة شرط وفعل شرط، والتقدير: مهما يكن من شيء.

ثم فصلت الآيات أنواع السعي فابتدأت بذكر أحوال المؤمنين، ومن مظاهر سعيهم وعظيم خصالهم "العطاء" وابتدأها بذكر العطاء، وقدمه على غيره من الصفات أو الأفعال المذكورة لهم في الآيات، فقال: "فأما من أعطى"، فقدمه

(١) ينظر المفردات ٢٥٥.
(٢)الجنى الداني ١٢٨ .
(٣) المفردات ٢٣٣.
(٤)الجنى الداني ٥٢٢.

إشارة إلى عظم فضل هذا الفعل وعلو منزلته، وعلو منزلة من يتصف بهذا الفعل، فهو من صفات المولى عز وجل "**المعطي**"، فتجعل دائماً صاحبها في منزلة عالية، فاليد العليا خير من اليد السفلي إلى جانب أنه خُلُق يَنُمُّ عن كرم نفس وطهارة قلب، ويعم به الخير في المجتمعات وعبر بـ"**من**" الموصولة التي تفيد العموم، أي عموم كل من يقوم بهذا الفعل وهو العطاء.

وآثر السياق التعبير بـ"**أعطي**" دون غيره لما يشعر به من القرب وكون صاحبه يجود بما في يده دون سؤال أو احتياج من أحد ودون أن ينتظر العوض، مما يدل على فضل هذا الفعل وفضل وعظم من قام به.

وحذف مفعول "**أعطي**" ليفيد العموم، ويفيد كثرة العطايا، ولأن المراد هنا في هذا الموضع هو إثبات الفعل له وهو العطاء، وأنه متحقق وقوعه ولذلك عبَّرعنه بصيغة الماضي.

وزيادة في علو المنزلة عطف على هذا الفعل فعل التقوى، أو ثنى بذكره واختصه أيضاً بالذكر بعد فعل العطاء، ليبين أنه يبتغي بعطائه وجه الله دون رياء أو سمعة، دون أن يتبعه بمنٍّ أو أذى، فالتقوى " في لسان الشرع :جعل النفس في وقاية مما يحذر ويخاف " [1]، فيكون فعله هذا وجاء ووقاية من عذابه –سبحانه وتعالى–، ودل على أنه يعطي ابتغاء وجه الله وابتغاء رضاه، وهو ما أكده السياق في آخر السورة في قوله تعالى: ﴿**وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١**﴾ **[الليل: ١٧-٢١]**، ففسرت السورة وفسر السياق بعضه بعضاً،حيث فصل المراد من العطاء، ولماذا قدمه وإيثاره التعبير به دون غيره،

(١) من أسرار التعبير القرآني، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٢، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

فسَّر كل هذا ما جاء في آخر السورة من الآيات المذكورة وعطف عليها أيضا "**وصدق بالحسني**" فجمعت له صفات وأفعال العطاء والتقوى، والإيمان والتصديق بكل ما وعده الله به من الخيرات الكثيرة والنصر والفوز بما عند الله من الثواب العظيم "**أنا عند ظن عبدي بي**".

والحسني على وزن "**فُعْلَى**" مؤنث "**أفعل**" "**أحسن**" فـ"**حسنى**" اسم تفضيل للمؤنث، أفاد أنه صدق وطمع في الجزاء الأعلى من رب العالمين، مؤكدا هذا بتضعيف الفعل"**صدق**" الذي دل عل قوة صدقه فيما عند ربَّه؛ لذلك أعطاهم ربهم جزاءهم، والجزاء من جنس العمل، فجاء جواب الشرط "**فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى**" الفاء رابطة لجواب الشرط، مؤكداً بالسين التي دخلت على الفعل المضارع، فأفادت استمرارية التيسير لكل أمر يسير لا مشقة فيه ولا صعوبة، والشرط وجوابه متلازمان فإذا تحقق الشرط تحقق الجواب.

واليسرى اسم تفضيل مؤنث "**أيسر**" أفعل تفضيل، فكما صدق بالحسني يسره لليسرى فتناسب المعنى وتناسب اللفظ بجناس الاشتقاق، وأكد الخير الكثير والعميم الميسر لعباده في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ **[المزمل: ٢٠]**.

وكان في هذه الآية من البشارة لتيسير الأمور وجعلها هينة سهلة لا مشقة فيها على عباده المؤمنين، فإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له.

ودلالة على ذلك تجد لفظ "اليسرى" لفظ شامل عام يندرج تحته كثير من معاني النفع والعوض دون مشقة على صاحبها.

وجاء الشرط في سورة الشرح وجزاؤه دلالة على التأكيد ودلالة الوقوع، فإذا وقع الشرط وقع جوابه لا محالة والشرط واقع حيث جاء بصيغة الماضي فيتأكد بذلك وقوع الجواب وتأكيد الثواب.

ثم جاءت الصورة المقابلة لتفصيل نوع آخر من السعي المختلف وهي صورة على النقيض من الأولى وهو شتات في السعي، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ٨: ١٠].

فتجد من بخل بماله وعمله ولم يعط وتجد من استغنى بنفسه وماله دون اللجوء لربه متعاليًا مفتخرًا بدلا من أن يتقي ربه ويلجأ إليه ويرجع سبب نعمته ورزقه وعطائه لربه، بل أضاف إلى ذلك تكذيبه بالحسنى فكان جزاؤه المشقة والعناء بل إنه سيسير له أمره بتلك المشقة فجاء جواب الشرط فسنيسره للعسرى من التهكم بمن كذب وبخل فالجزاء من جنس العمل.

فأظهرت المقابلة بين هاتين الآيتين أنواع السعي بتفصيل ما أجملته الآية " إن سعيكم لشتى " فكان هذا من حسن الجمع مع التقسيم.

وتجد العطاء هنا في جانب المؤمن فيه زيادة وخير ونماء ومتناسب مع سياق الآية كما وُضِّحَ ومتناسبا مع السياق السابق فهو من جملة أنواع السعي ومتعلق به، ومتناسب مع السياق اللاحق بالمقابلة كما ذُكِر، وبما جاء في الآيات بعدها "الذي يؤت ماله يتزكى" وتجد العطاء متناسبا مع سياق السورة فتجد قوله (فأما من أعطى واتقى) يوافق ويناسب صورة "النهار" إذا تجلى بضيائه وإشراقه وجماله، حيث يظهر أثر العطاء بالخير والزيادة والنماء، في حين تجد من بخل وكذب يتوافق مع صورة "الليل" بظلامه وسوداه في تغشية وتغطية نعم الله فما بخل وكذب إلا أنه جحد نعم الله وسترها وأنكرها، وأنكر أثر نعمة الله عليه، فهذا من التناسب والتوافق اللطيف للسياق في السورة والآيات.

ومن الجدير بالذكر هنا أنك تجد في هذه الأفعال (أعطى واتقى) وغيرها في السورة شدة تركيز وإجمال وإيجاز للمعاني الكثيرة مما يقوي معنى العطاء.

وننتقل إلى عطاء من نوع آخر:

الآية الثالثة: نوع مختلف من العطاء

قوله تعالى: ﴿فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ **[القمر: ٢٩]**.

هذه الآية جاءت في سياق الكلام عن قصة سيدنا صالح – عليه السلام– مع قومه ثمود حيث أنكروا رسالته ونبوئته، وكذبوه، وأنكروا أن يكون بشرا رسولا يختص من بينهم بالنبوة، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ۝٢٣ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٢٤ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ۝٢٥﴾ **[القمر: ٢٣-٢٥]**.

فكان تهديد الله ووعيده لهم بقوله: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ **[القمر: ٢٦]**، وأرسل إليهم الناقة آية لهم دلالة على صدق رسولهم، فكانت فتنة لهم؛ لأنهم إن كابروا وأعرضوا وكذبوا حق عليهم العذاب، قال تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ۝٢٧ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ۝٢٨﴾**[القمر: ٢٧-٢٨]**.

فأخبرهم الله عز وجل على لسان نبيهم بالقسمة بينهم وبين ناقة الله في شرب الماء، فيوم لها ويوم لهم، كما قال الله عز وجل في موضع آخر للقصة: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ **[الشعراء: ١٥٥]**، وأمرهم بعدم التعرض لها أو إيقاع الأذى بها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾**[الشعراء: ١٥٦]**، فكل يحضر يومه وينال قسمته ونصيبه، وأمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يراقبهم أشد المراقبة في هذا الأمر ويتحلى بالصبر الجميل في مراقبته إياهم لينظر ماذا سيفعلون، هل سيأتمروا بأوامر الله أم لا؟ لينظر ماذا سيفعلون، ولكنهم من شدة طمعهم وعنادهم وتكبرهم وإصرارهم على

الغي والضلال لم يأتمروا، ولم ينصاعوا لأوامر الله، وأوامر نبيه ﷺ فسارعوا إلى وقوع الأذى بها وقتلها، قال تعالى: ﴿فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ [القمر: ٢٩].

فصورت الآية لنا على إيجازها المشهد أدق تصوير فتراك تتخيل السرعة في فعلهم وإيذائهم بفاء التعقيب ثم العمد بإيقاعهم الأذى بها، والقصد بقوله: "نادوا"، فالنداء فيه قصد، وهدف يرنو إليه المنادى ويكون عن تعمد وجهر به، فالنداء هو"رفع الصوت وظهوره"(١). مما يدل على جهرهم بمعصيتهم واستخفافهم بالوعيد.

ولذلك كان نداؤهم لواحد منهم المعبر عنه بصاحبهم فهو من قومهم وعلى شاكلتهم، وعبر بالفعل "نادى" على وزن "فاعل" الذي يقتضي المشاركة في الفعل، فدل ذلك على اجتماعهم لإيقاع الأذى بها وأن هذا الأمر كان من جميعهم دون انفراد أحدهم به.

وعبر بصاحبهم "إشارة إلى أنهم راضون بفعله إذ هم مصاحبون له ومماثلون"(٢)، وهو الذي قال فيه تعالى: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾[الشمس: ١٢]، أي: أنه كان منهم، لكنه بفعلته هذه أصبح أشقاهم، وأشدهم عذابا، ويمكن أن يكون من التسعة رهط الذين قال الله فيهم: ﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾[النمل: ٤٨]، ودلالة على سرعة إيذائهم عقب بالفاء ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾(٣) فتعاطى هي مطاوع عاطاه "فتفاعل مطاوعة فاعل"(١)، وهي

(١) المفردات ٤٨٧.

(٢) التحرير والتنوير ٢٠١/١١.

(٣) التعاطي: تناول ما لا يحق وما لا يجوز تناوله، وقوله فتعاطى فعقر أي: فتعاطى الشقي عقر الناقة فبلغ ما أراد وقيل بل تعاطيه: جرأته، والتعاطي والتناول والجراءة على الشيء من عطى الشيء يعطوه إذا أخذه وتناوله .

=

مشتقة من الفعل عطا يعطو أي: ناول وتناول، وصيغة تفاعل تقتضي "تعداد الفاعل"[٢] فبين هذا كثرة من حصل منهم المناولة فدل هذا على اشتراكهم، فالعقر كان عن تمالؤ ورضا من جميعهم.

وقال الطاهر بن عاشور: "شبه تخوف القوم من قتلها لما أنذرهم به رسولهم من الوعيد وترددهم في الإقدام على قتلها بالمعاطاة فكل واحد حين يحجم عن مباشرة ذلك ويشير بغيره كأنه يعطي ما بيده إلى يد غيره حتى أخذه قدار"[٣].

ودلالة على سرعة الفعل وهو الذبح عطف بالفاء، وعبر عن النحر أو الذبح بالعقر وهو: "قطع قائمة من قوائمه حتى يسقط فيثبت ولا يبرح فينحره متمكنا ثم اتسع في العقر حتى استعمل في القتل والهلاك"[٤].

فيكون قوله "فعقر" مجاز مرسل علاقته السببية حيث أطلق السبب وهو العقر وأراد مسببه وهو الذبح وتأتي بلاغة المجاز المرسل هنا في إطلاق السبب دلالة على أن هذا أمر مدبر له بليل وأنهم تمالئوا وجهزوا وأعدوا العدة فأخذوا بكل الأسباب لتحقق مسببهم ومرادهم من ذبحها والخلاص منها.

=

ينظر : اللسان مادة (عطا).

(١) شذا العرف في فن الصرف أحمد بن محمد الحملاوي (المتوفى: ١٣٥١هـ)، ٣٤، المحقق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد الرياض، د.ط، د.ت.

(٢) أي: التشريك بين اثنين فأكثر كل منهما فاعلا في اللفظ، مفعولا في المعنى . شذا العرف في فن الصرف ٣٤، ينظر: شرح الشافية في التصريف، للسيد عبد الله بن محمد الحسيني المعروف بنقره كار (ت٧٧٦هـ)، ٢٢/٢-٢٣، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، د.ت.

(٣)التحرير والتنوير (١١/ ٢٠١-٢٠٢).

(٤) اللسان مادة عقر، والمعجم الاشتقاقي ١٥٠١/٣.

ويمكن أن يكون العقر هنا كناية عن النحر لتلازمهما، وشاع هذا في العرب قديما قال امرؤ القيس: ويوم عقرت للعذاري مطيتي[1]. فاستحقوا عذاب الله فكيف كان عذابي ونذر.

وتأمل الإيجاز البليغ في هذه الآية: ﴿ ﴿فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ **[القمر: ٢٩]**، فكل كلمة منها بمثابة موجز لأحداث كثيرة، وبين تلك الكلمات إيجاز لكثير من الجمل حوته في طياتها، وتجد كل كلمة منها كأنها جرس إنذار، ودق ناقوس الخطر للعذاب الشديد إذ إنهم قاموا بما يوجب عليهم العذاب.

وتجد أن مادة عطا استعملت بصيغة جديدة وهي "تفاعل" التي أعطت لها مذاقا خاصا، ورونقا، ومعنى جديدا، وتناسبت مع سياق الآية في المعنى الذي جاء من أجله، حيث كان عاقبته الهلاك، كما أنها جاءت متناسبة مع سياق الآيات قبلها في نفس القصة في جهة معنى التناول والمناولة أي: بصيغة "تفاعل" التي تقتضي المشاركة وتعداد الفاعل إذ جاء قبلها تكذيبهم جميعا وانتقاصهم من نبيهم في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴿٢٥﴾﴾ **[القمر: ٢٣-٢٥]**.

فترتب على هذا قوله تعالى فتعاطى فعقر، فكانت المناسبة هنا من جهة مشاركتهم واتحادهم في إبطال الحق، ومخالفة أوامر الله، وجاءت مادة العطاء هنا بصيغة مختلفة عن سائر اشتقاقاتها حيث لم ترد بهذه الصيغة (تفاعل) إلا في هذا الموضع منفردا في الذكر الحكيم، وهو مناسب لحادثة فريدة من نوعها

(١) ديوان امرئ القيس، لامْرئ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (ت ٥٤٥ م)، ٢٦، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م.

في تكذيب الأنبياء وهي قتل ناقة الله فقد حادُّوا الله ورسوله، واستحقوا بهذا عذابه وعقابه، فكان نوعا مختلفا في جانب العطاء الإنساني، حيث كان عطاء ممنوعا ومكروها.

وتعاقب الفاءات هنا في الآية يوحي بسرعة الأحداث وتواليها وسرعة الأداء للفعل (تعاطى) في تمالئهم عليها.

وحذف مفعول "فتعاطى" لتذهب النفس فيه كل مذهب لدلالته على العموم، فيخيل للمتلقي أنه لابد أخذ آلة حادة شديدة المضاء ليتمكن من عقرها بشدة فيسرع من هلاكها أو يكون الحذف هنا لأن تعلق السياق بالفعل نفسه وفاعله أي إلى شدة وقوع الفعل نفسه، وشقاء صاحب الفعل، أو من يقوم بالفعل دون أن يكون هناك حاجة للذكر المفعول.

وحذف مفعول عقر لدلالة السياق عليه بعقره الناقة؛ لأن المراد من السياق هو فظاعة وبشاعة الفعل وقبحه، إضافة إلى مراعاة الفواصل، وللإيجاز في السياق.

ثانيا : التعبير بصيغة الفعل المضارع.

حيث أفاد تجدد الحدوث لفعل العطاء

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

أمر الله –عز وجل– في هذه الآية بقتال أهل الكتاب إثر أمرهم بمنع المشركين من دخول المسجد الحرام غير خائفين من الفقر، ووعدهم بأن يغنيهم ويغدق عليهم من فضله؛ لأنه عليم بأحوالهم يأمرهم بما فيه النفع لهم، وينهاهم عن كل ما يضرهم ويلحق الأذى بهم، وأمر بقتال أهل الكتاب ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ ولا يأتمرون بأوامر الله ورسوله فيما حرم عليهم، ولم يتبعوا الدين الحق دون تحريف لكتبهم، فمن كانت تلك أفعالهم أمر الله بقتالهم، لذلك عبرت الآية بالاسم الموصول "الذين" في قوله ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ ليشير بالموصول وصلته إلى علة أو سبب الأمر بقتالهم، ولذلك جاءت من هنا في قوله ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ بيانية[1]، لا تبعيضية؛ لأنها بينت ووضحت ما أشار إليه الاسم الموصول السابق عليها في بداية الآية.

لكن القتال يتوقف بإعطائهم الجزية فكانت (حتى) في قوله ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ﴾ **لانتهاء الغاية** والجزية هي: "المال الذي يؤخذ من أهل الذمة مقابل حمايتهم وعدم حشرهم، وتوفير الخدمات المجتمعية لهم كما تنفق فيها زكاة المسلمين[2].

ومن لطائف الذكر أن لفظ الجزية لم يرد سوى في هذا الموضع في الذكر الحكيم فيتوقف القتال بإعطاء الجزية لأنها تعطى حقنا لدمائهم، وجاء الفعل

(١) الجنى الداني ٣٠٩ .

(٢) المعجم الاشتقاقي ٣٠٧/١، والمفردات ٩٣.

(يُعْطُوا) بعد حتى منصوبًا بأن مضمرة وعلامة نصبه حذف النون والفاعل واو الجماعة في الفعل يعطوا تعود إلى الذين أوتوا الكتاب، والمفعول به الجزية.

فالقتال يتوقف بإعطاء الجزية، ولذلك عبر بالفعل المضارع ليبين تجدد العطاء منهم دون توقف في الحال أو الاستقبال؛ حقنا لدمائهم، فدل على هذا المعنى بصيغة المضارع.

كما عبر بمادة العطاء هنا لتبين القرب فيه، فالعطاء مناولة، ولذلك قال بعدها ﴿**عَن يَدٍ**﴾ لتأكيد هذا المعنى، والجار والمجرور هنا "حال"[(١)] من فاعل يعطوا، ودلالة القرب هنا بالانقياد، أي: أنهم يعطون الجزية منقادين، يسلمونها يدا بيد، لا يوكلون الأمر لسواهم.

وقال في ذلك صاحب تفسير أبي السعود: "أي عن يد مؤاتية مطيعة بمعنى منقادين أو من يدهم بمعنى مسلِّمين بأيديهم غير باعثين بأيدي غيرهم، ولذلك منع من التوكيل فيه، أوعن غنى، ولذلك لم تجب الجزية على الفقير العاجز أو عن يد قاهرة عليهم، فإن إبقاء مهجتهم بما بذلوا من الجزية نعمة عظيمة عليهم أو من الجزية أي: نقدا مسلمة عن يد إلى يد"[(٢)]؟

فكان قوله "عن يد كناية عن الانقياد؛ لأنه إذا قيل أعطى فلانا بيده دل ذلك على الاستسلام والانقياد، ومن امتنع لم يعط بيده، ولذلك عبر بـ "عن" التي تفيد المجاوزة؛ لأن الإعطاء لا يكون إلا بعد بطش ومذلة.

فكان التعبير بقوله" عن يد" يحتمل يد المعطي أو يد الآخذ "فمعناها على إرادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد، أي: عن يد مؤاتية غير ممتنعة؛ لأن من

---

(١) إعراب القرآن وبيانه ٣٢٠/١٠.

(٢) تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى المتوفى سنة ٩٨٢هـ، ٥٨/٤، دار إحياء التراث العربي بيروت د.ط. د.ت.

أبى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد، وإما على إرادة يد الآخذ فمعناها حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية أو عن إنعام عليهم لأن قبول الجزية منهم بترك أرواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم(١).

لذلك جاء قوله "يد" نكرة لتفيد ذلك العموم، ولذلك أكدت هذه الحال "عن يد" بحال أخرى، وهو قوله تعالى: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾، فالصغار هو" الذل والمهانة، والصاغر: الصغير قدره، والراضي بالذل والضيم(٢)، قال تعالى ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، فأكدت هذه الحال الثانية "وهم صاغرون" الحال الأولى "عن يد" مما يؤكد شدة الذل والمهانة، حيث أكدت باسمية جملة الحال بتقديم الضمير الذي يفيد الاختصاص (هم)، فعبرت الآية الكريمة عن حالهم وقت إعطائهم الجزية وتسليمها بقوله: "عن يد وهم صاغرون".

وجاء العطاء هنا وصفًا لحال من قام بالعطاء، فجاء فعل العطاء هنا أو استخدم فعل العطاء هنا وصفًا لحال من قاموا به، أو وصف العطاء هنا مقيدًا بحال من قاموا به بكونه عن يد وكونهم صاغرين، فالعطاء مقيد هنا بحالتين وليس على الإطلاق.

وجاء فعل العطاء هنا مضارعًا ليدل على تجدد حدوثه مما يفيد الاستمرارية في دفع الجزية حتى يأمنوا القتال.

وجاء العطاء هنا مناسبًا للسياق قبله حيث ورد في الآية قبلها ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، فكان إعطاء الجزية نوعًا من الغنى للمؤمنين، كما كان مناسبًا للسياق

(١) الكشاف ١٥٣/٢.

(٢) المعجم الاشتقاقي ١٢٢٩/٣، والمفردات ٢٨٢.

اللاحق ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ **[التوبة: ٣٢-٣٣]**، فكان إعطاء الجزية إتمام للنور وإظهار للحق.

كذلك بينت الآيات بعدها وجه عدم إيمانهم بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله إلى آخر ما ذكرته الآية من أفعالهم، جاء هذا في الآيات بعدها في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ **[التوبة: ٣٠-٣١]**.

الآية الخامسة:

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ **[التوبة: ٥٨]**.

تتحدث هذه الآية عن بعض أحوال المنافقين، وبعض خصالهم وركاكة أخلاقهم، ودناءة طباعهم، وشح نفوسهم؛ وذلك لشدة طمعهم وحرصهم على المال، وكان مظهر طمعهم هنا الصدقات والغنائم التي يوزعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم يطمعون في الاستيلاء عليها جميعها دون أن يأخذ منها أحد سواهم، ونتيجة لسوء خلقهم هذا ودناءة طباعهم، وشح نفوسهم تجرؤوا وعابوا توزيع النبي صلى الله عليه وسلم للصدقات، فعبر عن فعلهم بقوله (يَلْمِزُكَ) وقدم الجار والمجرور المشتمل على ضميرهم حيث ابتدأت به الآية لاختصاص المنافقين بهذا الفعل، وهو اللمز في قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾ والآية معطوفة على ما قبلها وهي من أحوال المنافقين أيضا، وجاءت "من" اسم موصول عام حيث أفاد العموم لجميع المنافقين وبين سوء خصالهم.

واللمز هو العيب[1] فهم يعيبون النبي صلى الله عليه وسلم في قسم الصدقات، ويطعنون في فعله؛ لأنهم شحاح النفوس، قال تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ **[الأحزاب: ١٩]**، ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ **[الأحزاب: ١٩]**، ولا عجب في ذلك فقد طبع الله على قلوبهم فهم لا يؤمنون، كما قال تعالى ذلك وقرره في نفس السورة، قال تعالى: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ **[التوبة: ٨٧]**، فقد جبلوا على سوء الطبع والخلق، كل متعلقهم حب المال، وتحصيل الدنيا، فهم لا يفقهون ولا ينفقون ولا يرضون ولا يشبعون.

(١) مقاييس اللغة ٢٠٩/٥، المعجم الاشتقاقي ٢٠٠١/٤.

وبلغ من سوء خلقهم أنهم كانوا يعيبون هذا الفعل مواجهة منهم للنبي صلى الله عليه وسلم، ودل على هذا التعبير بفعل اللمز دون غيره، لأن اللمز في اللغة هو "العيب في المواجهة وأصله الاشارة بالعين والرأس والشفة مع كلام خفي، ورجل لمزة يعيبك في وجهك"(١) وهو بخلاف الهمز، فالهمز هو "العيب بالغيب" (٢).

وقوله تعالى: ﴿يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي: يعيبك ويطعن عليك، وأدخل "في" الظرفية على "الصدقات" والمراد "أن اللمز في توزيعها لا في ذواتها"(٣) لأنهم من شدة حرصهم على أخذها، وشدة حرصهم أن تكون فيهم لا في غيرهم سارع الذكر فعبر بما هو موضع نظرهم وحرصهم عليه وهو الصدقات.

ثم عقب بالفاء التي تدل على السرعة للتعبير عن سوء صنيعهم، وشرههم، ونهمهم للمال حيث أكد ذلك الشرط وجوابه قال تعالى: ﴿فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ﴾ أي: أخذوا منها صاروا راضين، ودل الشرط وجوابه على بلوغهم الغاية في الحرص والطمع.

و"إن" شرطية و"أعطوا" في محل جزم فعل الشرط، والواو نائب فاعل يعود على المنافقين، وجوابه (رَضُوا) أي: إنهم إن أخذوا منها وتملكوها صاروا راضين، حتى الرضا في هذا الوقت أو في هذه الحالة قد لا يتحقق، ودل على ذلك الشرط بـ "إن" التي تفيد الشك وعدم الجزم بالوقع مما يؤكد سوء خلقهم وطباعهم سواء كان في حالة إعطائهم أو منعهم من العطاء.

ثم يعطف على هذه الجملة ما يقابلها وهو حال عدم الإعطاء أي: إنهم إذا لم يعطوا منها تحصل المفاجأة بردة أفعالهم السيئة من السخط، والكره، وعدم

(١) اللسان مادة لمز.

(٢) اللسان مادة همز.

(٣) التحرير والتنوير ٥/٢٣٢.

الرضا، فجاء بقوله: قال تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ **[التوبة: ٥٨]**، فتجد جملة الشرط (وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا) وجواب الشرط قوله (إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ).

حيث اقترن الجواب بإذا الفجائية مما يبرهن على أن سخطهم أمر مفاجئ للعقل؛ لغرابته إذ لا وجه لسخطهم هنا، والسخط "ضد الرضا وسخطه أي كرهه وسخط أي غضب وسخط عطاءه أي: استقله ولم يقع موقعا والسَّخط والسُّخط : الكراهية للشيء وعدم الرضا به"(١).

وتقدم "هم" هنا؛ لاختصاصهم بهذا السخط وعدم الرضا به، ولو تأملت تجد التعبير عن سخطهم بالفعل المضارع دلالة على تجدد حدوث السخط منهم في الحال أو الاستقبال، وفيه شديد مذمة لهم ولسوء أحوالهم وصنيعهم؛ لذلك عبر بالفعل سخط دون غيره؛ لأنه يدل على الكراهية وعدم الرضا وعدم القناعة، فانظر إلى حروف الكلمة الطاء(٢)، وما تتصف به من شدة وإطباق مما يدل على شدة الأمر عليهم، والسين(٣) حرف صفير وهي صفة تدل على القوة مما يدل على شدة ضجرهم بما تضمره نفوسهم.

وتجد المقابلة بين الجملتين ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ **[التوبة: ٥٨]**، وضحت أحوالهم المتناقضة وأظهرت طعمهم، وشح نفوسهم، وسوء صنيعهم.

وتكرار مادة العطاء هنا دل على تعلق نفوسهم، وطمعهم في الصدقات، وشدة حبهم للتملك طمعًا منهم، فالمراد من هذه الآية توضيح حالهم في العطاء

(١) اللسان مادة سخط.

(٢) الأصوات اللغوية، د/ إبراهيم أنيس، ٦١، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٤، ١٩٦١م.

(٣)الأصوات اللغوية ٧٥.

وعدمه، ولذلك بنى الفعل لغير المعلوم (أعطوا)، يعطوا لأن المراد هو بيان حالهم من العطاء، وبيان من تعلق بهم أو وقع عليهم العطاء وهم المنافقون ومن على شاكلتهم.

وكذلك خالف في التعبير في الآية التي تليها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٥٩]، حيث عبر بـ "أعطى" في الآية التي معنا، وعبر في لاحقتها بـ "أتى"؛ لأنهم يتعلقون بالأمور المادية فعبر عن رغبتهم تلك بالعطاء.

أما "آتى" فتجدها أكثر في الأمور المعنوية، والأمور العظيمة ولذلك قال ﴿مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾، فعطاءات الله ورسوله أعلى وأعظم من أن تكون في المال أو الصدقات فقط التي هي متاع الدنيا الزائل، وإنما تتخطاها إلى أعلى من ذلك.

فقد آتاهم الله ورسوله من الفضل العظيم باتباع الله ورسوله، ونعمة الإسلام، والإيمان، وأن ما أعده الله لهم هو الأفضل (مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) ولذلك كانت المغايرة في التعبير بين الآيتين بـ "آتى" و"أعطى".

لذلك تجد مادة (عطى) تتناسب مع سياق الآية وتتناسب مع سباقها في قوله تعالى ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥]، دلالة على أن الله أعطاهم من زينة الحياة الدنيا المال والبنون ولكنهم لا يفقهون ولا يقنعون.

وكذلك تناسب "عطى" مع لاحقها في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩]، فالتعبير بـ "آتى" ماضيًا دل على تحقق وقوع العطاء من الله ورسوله.

فقوبل العطاء الإنساني هنا بالرضا أوالسخط ممن وقع عليهم فعل العطاء وهم المنافقون.

وتعلقت مادة "عطى" هنا بالعطاء الإنساني بسبب صيغتها للبناء لغير المعلوم (أعطوا، ويعطوا) حيث كان نائب الفاعل فيها دالًّا على المنافقين، والفاعل محذوف، ويحتمل أن يراد به النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو غيرهم فكان عطاء إنسانيًّا.

المبحث الثالث

الفرق بين العطاء الرباني والعطاء الإنساني

من خلال دراستي لمواطن العطاء الإلهي والعطاء الإنساني وجدت فوارق لا تعد ولا تحصى يجمعها ضابط واحد هو أن الفرق بين العطاء الرباني والعطاء الإنساني هو الفارق بين الخالق سبحانه والمخلوق ، ومن هذه الفوارق ما يلي :

العطاء الرباني يتسم بالعموم الشامل لكل ما هو مادي ومعنوي، والإطلاق عن كل قيد وارد عليه، ولذا كان أكثر وروده بصيغة اسم المصدر، يصاحبه التفضل والزيادة، والتملك، والنماء، والهداية، والرضا مقترنًا بربوبيته – جل وعلا– دلالة على الرأفة والرحمة والعطف والحُنُو والقرب، وتفصيل ذلك:

١) **عموم عطاء الله لكل المخلوقات واقترانه بالهداية**، قال تعالى: ﴿**رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ**﴾ **[طه: ٥٠]**، أي أعطى كلا "مما تراه في الوجود خلقه، أي ما هو عليه مما هو به أليق في المنافع المنوطة به، والآثار التي تتأثر عنه من الصورة والشكل والمقدار واللون والطبع وغير ذلك مما يفوت الحصر ويجل عن الوصف"(١).

ووضح ذلك بالجملة الاسمية وإفادتها الثبوت والدوام، والفعل الماضي الذي بيّن أن عطاء الله أزليّ قديم، وألفاظ العموم والشمول "كل، خلقه".

٢) **شمول عطاء الله المؤمن والكافر** مع الإمداد والزيادة دون حرمان أحد من الرزق أو العطاء، قال تعالى: ﴿**كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا**﴾ **[الإسراء: ٢٠]**، أي أن: (عطاءه واسع مبذول لكل

(١) نظم الدرر ٢٩٤/١٢.

أحد ليس فيه حظر من الله تعالى)[1]، وما كان محظورًا، " أي ما كان ممنوعًا عن أحد من مؤمن وكافر، ولا بر ولا فاجر"[2].

وعطاء ربك: "أي من معطاه الواسع الذي لا تناهي له متعلق بـ " نمد"، ومُغنٍ عن ذكر ما به الإمداد، ومنبه على أن الإمداد المذكور ليس بطريق الاستيجاب بالسعي والعمل بل بمحض التفضل والعطاء أياً كان دنيويًّا أو أخرويًّا، وأظهر (ربك) إقامة للظاهر مقام المضمر عندما تكررت في الآية لمزيد الاعتناء بشأنه وإشعارًا بعليته للحكم، لذلك لم يكن محظوراً أي ممنوعاً ممن يريده بل هو فائض على من قدر له[3].

٣) **دوام العطاء وعدم انقطاعه في الدار الآخرة** لمن كتب لهم السعادة، قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾ **[هود: ١٠٨]**، عطاء غير مجذوذ: أي دائمًا غير مقطوع؛ لذلك ذيلت الآية بها لتدل على عظم الجزاء، وكونه فضلًا وإحسانًا دائمًا غير مقطوع، إضافة إلى أن التعبير بقوله: ﴿**مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ**﴾ هو تعبير يوضح صفة الدوام والاستمرار.

٤) **التفضيل والتخصيص للعطاء:** قال تعالى : ﴿**فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ**﴾ **[ص: ٣٦]**، إلى قوله: ﴿**هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ **[ص: ٣٩]**، هو عطاء من نوع خاص فضّل الله به سيدنا

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، (ت ١٣٥٤هـ)، ٢١٩/٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، د.ط.

(٢) تفسير المنار ٥٢/٨.

(٣) تفسير أبي السعود ١٦٥/٥ بتصرف.

سليمان (أو هو عطاء اختص الله به سيدنا سليمان – عليه السلام–) وجعله مفوضًا فيه.

وقوله تعالى: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ **[النبأ: ٣٦]**، هو عطاء وفوز للمتقين في الدار الآخرة من قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝٣٤ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ۝٣٥ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا۝٣٦﴾ **[النبأ: ٣١-٣٦]**، وهو عطاء يغمر صاحبه بالخير والبركة يصل إلى حد الكفاية، حيث قال: "عطاءً حساباً" فوصف بكونه حساباً، وهو في مقابلة أو مناظرة ما كان للطاغين مآبا، فكان عطاؤهم جزاء وفاقًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا۝٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا۝٢٣ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝٢٤ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝٢٥ جَزَآءً وِفَاقًا۝٢٦﴾ **[النبأ: ٢١-٢٦]**.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ **[الكوثر: ١]**، أي: الكثير الشامل لخيرات كثيرة كما ذكر، وفيه المشاركة، فالعطاء للنبي –صلى الله عليه وسلم– عطاء لأمته من بعده.

٥) **التبشير بالعطاء:** قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ **[الضحى: ٥]**.

"فالجمع بين حرفي التوكيد والتأخير معناه أن العطاء كائن لا محالة، وإن تأخر لما في التأخير من المصلحة"(١).

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي المتوفى ٦٠٦ هـ،١٩٥/٣١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.

أما العطاء الإنساني فنلحظ فيه الذلة والهوان، والقلة، والشح والبخل، والطمع، والحرص على الدنيا، وضياع الدين، والاجتراء على حدود الله، وذلك على النحو الآتي:

١) **الذلة والصغار:**

قال الله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ **[التوبة: ٢٩]**.

٢) **الطمع والحرص على المال والدنيا وتضييع الدين:**

قال تعالى: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ﴾ **[التوبة: ٥٨]**؛ وذلك لأنه لا يلمز في العطية، وخاصة إذا كان هذا الفعل مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلا إذا كان شديد الحرص على الدنيا والطمع وإن ضاع الدين، ولذلك قال عقبها: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ **[التوبة: ٥٩]**، أي: "لكان ذلك خيرا لهم"(١).

فكان من علامات حرصهم وطمعهم وضياع دينهم اللمز، ومن علامات صلاح دينهم ودنياهم الرضا.

٣) **القلة والضنة والبخل وانقطاع العطاء :**

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ٣٣ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ٣٤﴾ **[النجم: ٣٣-٣٤]**.

٤) **الترغيب في العطاء:** واقترانه بصفات حسنة وعاقبة حسنة، والترهيب من البخل واقترانه بصفات سيئة وعاقبة سيئة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ

(١) نظم الدرر ٨/٥٠٤.

﴿٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠﴾ **[الليل: ٥-١٠]**.

٥) **الاجتراء على حدود الله عند الابتلاء، أو الخروج على أوامر الله وعدم السمع والطاعة:**

قال تعالى: ﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ٢٧ وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ ٢٨ فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ٢٩﴾ **[القمر: ٢٧: ٢٩]**، أي: فتناول ما لا يحق له تناوله بسبب الابتلاء الذي اختبرهم الله به، "فاجترأ على تعاطي الأمر العظيم غير مكترث له فأحدث العقر بالناقة"(١).

فالتعاطي هو تناول الشيء بتكلف، وهو افتعال واجتراء، وغالبًا ما يكون في الأمور القبيحة أو الممنوعة.

(١) تفسير أبي السعود ١٧٢/٨.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وبعد المعايشة والتأمل والتدبر لمادة العطاء في كتاب الله ومواطن ورودها في الذكر الحكيم في جانب العطاء الرباني والعطاء الإنساني، خلص البحث إلى النتائج الآتية:

١- دل التعبير بمادة "عطى" في اللغة على المناولة والقرب والإيصال والتمليك.

٢- وردت مادة "عطى" في الذكر الحكيم في أربعة عشر موطناً، ثمانية منها في جانب العطاء الرباني، وستة في جانب العطاء الإنساني.

٣- تنوعت مشتقات المادة في ورودها بين صيغ الماضي والمضارع واسم المصدر "عطاء"، حيث ورد في جانب العطاء الرباني الماضي والمضارع واسم المصدر، وكان ذكر اسم المصدر في أكثرها حيث ورد في خمسة مواضع، بينما ورد في جانب العطاء الإنساني بالماضي والمضارع فقط، مما يدل على سعة العطاء الرباني، وكونه مصدرًا لكل عطاء، وفيه مبالغة وشمول وإيجاز، وكونه قديمًا أزليًّا، ومتجددًا على مر العصور والأزمان، ولم يرد فعل الأمر منه، دلالة على أن العطاء صفة تنبع من الداخل تدل على شرف المتصف بها فلا يحتاج فيها إلى الأمر.

٤- أصل الفعل "عطى" متعدٍّ لمفعول واحد، زيدت فيه همزة التعدية ليتعدى إلى مفعولين؛ مما يوسع دائرة العطاء.

٥- تجد الفعل أعطى في العطاء الرباني تعدى لمفعولين، وفي العطاء الإنساني تعدى لمفعول واحد، دلالة على سعة وشمولية وعموم العطاء الرباني.

٦- عطاء الله فيه عموم وشمول وإطلاق فوصف بكونه "غير مجذوذ – وما كان عطاء ربك محظوراً–، وعطاء حساباً" فهو عظيم ونفعه عميم.

٧- اقترنت صفة العطاء أو مادة العطاء في جانب الله بالربوبية، مما يدل على الرأفة والرحمة والقرب واللطف.

٨- أن الآيات التي اشتملت على مادة العطاء غاية في الإيجاز، فيندرج تحتها كثير من المعاني، سواء أكان إيجازًا بالقصر أو بالحذف.

٩- أن التعبير في جانب العطاء الرباني فيه تدرج وترقي وتصاعد في درجة العطاء وزيادته، والعكس في جانب العطاء الإنساني، ففيه تدرج أيضا ولكن بالنقص.

١٠- أن العطاء من رب العالمين مؤكد لا محالة، إلا أن سياق الآيات كان فيه زيادة تأكيد بأدوات التوكيد، مثل إن، واسمية الجملة، والمبالغة في الألفاظ والصيغ.

١١- مجيء العطاء في سياق السعي سواء كان سياقاً سابقاً أم لاحقاً، وسواء ذكر السعي لفظًا أم معنى.

١٢- أن العطاء يوجب التمليك، والملك سبب للاختصاص، وبعد الاختصاص يكون التفويض كما في عطاء سيدنا سليمان -عليه السلام-، قال تعالى: **﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [ص: ٣٩].**

١٣- دلالة السياق على العطاء إما عن طريق قرب المعاني أو المقابلة بينها، فوجدت التقسيم للعطاء الرباني للمؤمن والكافر في الدنيا والآخرة، في سور "هود، الإسراء، النبأ" في ذكر الفريقين المتقابلين في السياق، وفي العطاء الإنساني بذكر الفريقين في سورتي النجم والليل سواء في جانب العطاء أو عدمه.

١٤- أن العطاء الإنساني تجده للمؤمن كثيراً ، ويصاحبه صفات طيبة فيزيد نماؤه، وأما الكافر فتجد عطاءه قليلًا، ويصاحبه صفات سيئة فيقلله.

١٥- أن عطاءه سبحانه واسع، شامل، مطلق، مؤكد بكثير من المؤكدات مثل: التكرار، والتذييل، وصيغ المبالغة، وعضد ذلك كله السياق.

١٦- جل آيات العطاء الرباني مقترنة بخطاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ففيه تعظيم له ولأمته من بعده، ودليل على اختصاصه وأمته بكثير من العطاء ولم لا ! وقد جعله الله مصدرًا للعطاء، إكرامًا له.

١٧- مجيء العطاء الرباني في بعض المواضع في سياق المقابلة، وأتى كذلك في جانب العطاء الإنساني.

١٨- ائتلاف مادة العطاء مع سياق الآيات سواء كانت السابقة أم اللاحقة، ومع سياق السورة.

١٩- ورد نوع مختلف من العطاء الإنساني حيث إنه من التعاطي فهو قبيح مكروه قد يصل إلى حد التحريم، مصاحب بالابتلاء والفتنة والاختبار، وفيه اجتراء على حدود الله.

٢٠- أن موارد العطاء الإنساني في القرآن لم ترد مطلقة بل وردت مقيدة إما بالكثرة، وإما بالقلة، أو الشح والبخل، أو الذلة والهوان، أو الرضا والسخط، أو تناول ما لا يحق تناوله.

فهرس المصادر والمراجع

١- أسباب النزول لأبي الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)، تخريج وتدقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح الدمام، ط: ٢ ١٤١٢ هـ ١٩٩٢م.

٢- الأصوات اللغوية، د/ إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٤، ١٩٦١م.

٣- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، المتوفى ١٤٠٣ هـ، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، دار اليمامة، دمشق، بيروت، ط ٤، ١٤١٥هـ

٤- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفى ٨١٧ هـ، ٤٦/٢، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٥- التحرير والتنوير= تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لمحمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس.

٦- تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى المتوفى سنة ٩٨٢ هـ، دار إحياء التراث العربي بيروت د.ط. د.ت.

٧- تفسير الرازي = مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي المتوفى ٦٠٦ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.

٨- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني،

المتوفى سنة ١٣٥٤هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، د.ط.
٩- الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق د/ فخر الدين قباوة، أ/محمد نديم فضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
١٠- خصائص التراكيب "دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني"، د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط ٨، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
١١- دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٧م.
١٢- دلائل الإعجاز للشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، المتوفى ٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجى بالقاهرة، ط ٥، ٢٠٠٤م
١٣- ديوان امرئ القيس، لامْرئ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (ت ٥٤٥ م)، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م.
١٤- شرح الشافية في التصريف للسيد عبد الله بن محمد الحسيني المعروف بنقره كار (ت٧٧٦هـ)، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، د.ت.
١٥- شذا العرف في فن الصرف أحمد بن محمد الحملاوي (المتوفى: ١٣٥١هـ)، المحقق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد الرياض، د.ط، د.ت.
١٦- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، العقيلي، المصري، الهمداني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢٠، رمضان ١٤٠٠ هـ، يوليو ١٩٨٠م، دار التراث القاهرة، دار مصر للطباعة.
١٧- صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار

الطباعة العامرة – تركيا، ١٣٣٤هـ.

١٨- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم، للشيخ أحمد بن يوسف السمين الحلبي ت٧٥٦هـ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ،١٩٩٦م.

١٩- الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد)، المتوفى حوالي ٣٩٥هـ، تحقيق: جمال عبد الغني مدغمش، مؤسسة الرسالة، ط١٤٢٧،٢هـ،٢٠٠٦م

٢٠- الكتاب "كتاب سيبويه"، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢ م .

٢١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل على وجوه التأويل، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، مكتبة مصر، ط١، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠ م.

٢٢- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، المعروف بابن منظور، دار صادر بيروت، ط ٢٠٠٨م.

٢٣- معاني النحو، د/ فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠ م .

٢٤- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، محمد حسن حسن جبل، ط ١ القاهرة، مكتبة الآداب ٢٠١٠م.

٢٥- معجم مقاييس اللغة لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت (٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩م.

٢٦- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب للإمام ابن هشام الأنصاري ٧٦١ هـ،

تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤١١هـ، ١٩٩١ م، د، ط.

٢٧- المفردات في غريب القران لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى ٥٠٢هـ، دار الخلود للتراث د. ط د.ت.

٢٨- من أسرار التعبير القرآني، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط٢، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

٢٩- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٣٠- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى ٩١١هـ، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة ١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
ملخص البحث	٦٦١
مقدمة البحث	٦٦٣
أهمية الموضوع وأسباب اختياره.	٦٦٤
خطة البحث ومنهجه.	٦٦٦
التمهيد: دلالة مادة "عطى" فى المعاجم العربية.	٦٦٧
المبحث الأول: جماليات التعبير البلاغي عن مادة العطاء الرباني.	٦٧٣
آيات عطاء الربوبية.	٦٧٤
أولا: التعبير بصيغة الفعل الماضي.	٦٧٤
ثانيا : التعبير بصيغة الفعل المضارع.	٦٨٥
ثالثا : التعبير بصيغة اسم المصدر.	٦٨٩
المبحث الثاني: جماليات التعبير البلاغي عن مادة العطاء الإنساني	٧٠٩
آيات العطاء الإنساني.	٧١٠
أولا: التعبير بصيغة الفعل الماضي.	٧١٠
ثانيا : التعبير بصيغة الفعل المضارع.	٧٢٥
المبحث الثالث: الفرق بين العطاء الرباني والعطاء الإنساني.	٧٣٤
خاتمة البحث.	٧٣٩
فهرس المصادر والمراجع.	٧٤٢
فهرس المحتويات.	٧٤٦